الفلسفة الوجودية

دراسة نقدية فى ضوء الإسلام

تأليف

الدكتور

سيد فرج عبدالحليم

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعاملين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين ... وبعد .

فمما لا شك فيه إن مأساة الإنسان فى عالمنا المعاصر من أكبرالمآسى التى لم يعرفها التاريخ فى الحقبة الماضية ذلك إن من الأسباب الرئيسية فى شقاء كثير من الناس اليوم هو أننا نعيش فى عالم لا يحفل كثير من الناس فيه بالإيمان بالله تعالى ، وذلك يرجع إلى التفكير المادى المعاصر ، والذى روج له ظهور كثير من المذاهب المادية الإلحادية المناهضة لوجود إله خارج عن دائرة المادة – الطبيعة – الأمر الذى جعل كثيراً من الناس يظنون أن الإيمان بخالق لهذا الكون ومدبر لهذه الحياة ، خرافة أو أسطورة ، ذلك أنهم لا يؤمنون بوجود أى شئ وراء هذه الحياة المادية ، فكل ما لا يدرك أو يخضع للحواس والتجربة والملاحظة لا وجود له ، وان فكرة الله من اختراع الإنسان ، وان الله لم يخلق الإنسان ، بل الإنسان هو الذى خلق الإله ، ومن ابرز المذاهب الفكرية المعاصرة التى روجت لذلك وعملت على نشره والدعوة إليه بكل الوسائل " الوجودية " إحدى التيارات الفلسفية فى عالمنا المعاصر والتى أخذت مسميات كثيرة مثل الوجودية والدهرية – المادية العلمانية ... والتى روجت لطائفة من الأفكار خدعت بها شعوب العالم الغربى ، وكان لها أكبر الأثر فى العالم الثالث ، ... ولا شك فى أن طالب العلم لا بد إن يكون واعيا مدركاً أهمية مثل تلك التيارات الإلحادية ، التى تناهض جميع الأديان السماوية ، بما فيها الإسلام ، وتحاول هدم ما جاءت به الأديان من عقائد ، وقيم مطلقة ، ببعض العبارات الطنانة كالتى تنادى بها الفلسفية الوجودية ، مثل حرية الإنسان المطلقة ، وتحرره من قيود الدين ، وإبراز الوجود الفردى للإنسان ، وأنها فلسفة الحياة ، وتخليص الإنسان من الطغيان ، الأمر الذى كان له أثر كبير فى انهيار المجتمعات بعد إغراقها فى التحلل والفساد .

ولا ريب فى إن الفلسفة الوجودية قد أغرقت كثيراً من الناس فى ظلمات المادية وبحار الشك والحيرة والقلق والاضطراب بدرجة كبيرة ، واضحى الكثير من

الماديين لا يكفون ليلا ولا نهارا عن إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة الدين والإيمان بالله ، وإثارة الشهوات ونشر الرذائل .

ومن المعلوم أن معرفة العقائد الفاسدة تعود بالفائدة على المسلمين عامة وعلى طلاب العلم خاصة ، فمن الباطل نعرف قيمة الحق . ذلك إن من اخطر ما قام به أعداء الإسلام نشر المذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة ، والاتجاهات الفاسدة بين المسلمين .

فبعد إن عجز أعداء الإسلام والمسلمين أن يحققوا انتصاراً بالسلاح عمدوا إلى نشر الأفكار الفاسدة بشتى الوسائل حتى يزحزحوا المسلمين عن عقيدتهم ومبادئهم وأخلاقهم ويفسدوا حياتهم . وهذا ما يجب أن يعرفه كل مسلم .

ومن هنا ندرك أهمية دراسة تلك المذاهب ، وعلى وجه الخصوص مذهب الوجودية وآرائهم ومعتقداتهم ، وخطرها على المسلمين والعالم الثالث بصفة خاصة وعلى الإنسانية كلها بصفة عامة .

وفى هذا البحث أحاول – مستعينا بالله تعالى – أن أوجز أهم المحاور عن المذهب الوجودى من خلال ثلاثة مباحث رئيسة :

المبحث الأول : معنى الوجودية ونشأتها . وعوامل ظهورها .

المبحث الثانى : أهم الآراء والمعتقدات التى نادى بها هذا المذهب .

المبحث الثالث : أثر هذا المذهب فى العالم الإسلامى ، لأن أثر هذا المذهب يمثل تحديا للثقافة الإسلامية . ومن هنا حاولت أن ألقى بعض الضوء على أسهم قضايا الفلسفة الوجودية ، وما تشتمل عليه من تهافت وما تنطوى عليه من فساد وانحراف وتضليل .

دكتور

سيد فرج عبدالحليم

المبحث الأول : معنى الوجودية ونشأتها

أولاً : معنى الوجودية :

الوجود معناه : تحقق الشئ فى الذهن أو فى الخارج ومنه الوجود المادى ، والوجود العقلى . والوجود ضد العدم .

والوجودية : من أحدث المذاهب الفكرية التى سادت العقلية الغربية فى القرن العشرين ، وأكثرها سيادة فى الفكر المعاصر ، وهو توجه فكرى يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقا على الماهية ، ويعلى من قيمة الإنسان ، ويؤكد على تفرده وأنه صاحب تفكير ، وحرية ، وإرادة واختيار ، ولا يحتاج إلى موجه ، وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم (١) . لأنها فلسفة من نوع جديد تختلف فى مفهومها وغايتها عما سبقتها من مفاهيم فلسفية ذلك أن المبدأ الأساسي الذى تقوم عليه الوجودية هو " الوجود يسبق الجوهر " بمعنى إن الفرد ليس له طبيعة مفروضة ، بل إن عليه أن يقرر شخصيته بنفسه " كما سوف نوضح ذلك .

والوجوديون جميعا سواء المؤمنون أو الملحدون ، يبدءون جميعا من بداية واحدة هى أن الوجود سابق على الماهية أو أن الذاتية تبدأ أولا " (٢) .

كما يقوم المذهب الوجودى على دعوة تعتمد على تحلل الإنسان من كل القيم والمبادئ والأعراف وتطلق العنان للإنسان لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد أو شرط .

وقد اختلف الوجوديون فى تعريفهم لمعنى الوجودية ولم يتفقوا على معنى تعريف واحد لمفهوم هذه الكلمة بالنسبة إليهم ، فيذهب " جوليفية زيجبس " فى معنى

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ٢٨/٥٢ بتصرف والموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ٥٤٣ بتصرف .

(٢) معنى الوجودية : د/ عبدالمنعم الحنفى ٣٦ .

الوجودية بأنها جملة من المذاهب التى ترى أن موضوع الفلسفة هو تحليل الوجود العينى ووصفه من ناحية أن هذا الوجود فعل حرية ، وتتكون بأن تؤكد نفسها لها منشأ أو أساس سوى هذا التوكيد للذات [١] .

بينما يذهب " جون ماركوى " إلى القول إننا " عندما نحاول تعريف الوجودية نجد أنفسنا أمام حالة من عدم التحديد وتنشأ طواعية التحديد من :

أولاً : الحقيقة القائلة بأن نوعا من الفلسفة يمكن إن يكون فى مستوى السرعة المؤقتة التى تستحوذ على اهتمام الجميع ومن ثم ينطبق المفهوم الوجودى على جميع الناس والأنشطة المرتبطة – ولو من بعيد – بالفلسفة الوجودية ، ومثلما كتب " جان بول سارتر " الكلمة التى أصبحت الآن تنطق على نحو فضفاض لدرجة أنها لم تعد تعنى شيئا على الإطلاق .

ثانيا : إن هذا المعنى الفضفاض للكلمة داخل فى صلب الفلسفة الوجودية والمدافعون عن هذه الفلسفة ينكرون أن الحقيقة يمكن أن تختزن فى مفاهيم محددة أو أن تعرض فى نظام متشابك [٢] .

فى حين يذهب " جون بول سارتر " فى تعريفه للوجودية " بأنها مذهب يجعل الحياة ممكنة ، باعتبار أن كل حقيقة وكل عمل مصدراهما الذات الإنسانية [٣].

وعلى هذا فالوجودية بالمعنى العام هى إبراز قيمة الوجود الفردى كما يرى " كير كجور " : وهو أن يهتدى الإنسان إلى وجود نفسه بنفسه ، وأن يكون مستقلا بنفسه عن الآخرين ، وان يسبر غور وجوده ، وإذا كان الإنسان مجموعة من المتناقضات – فى نظره – فإن الوجود كما يزعم مطالبة باستجماع نقائصه مع وحدة شاملة تمضى به إلى اتجاه متناسق لا تنازع فيه ، وأن يكون بهذه المثابة شيئا لا يتكرر ولا يتعدد والطريقة فى هذا عند " كير كجور " للوصول لهذه الغاية هى الصدمة العاطفية القوية، أو يقظة الضمير ، أو بضربة من ضربات التجارب . بل ويرى "

(١) نقلا عن قضية العناية والمصادفة فى الفكر الغربى : د/ سارة بنت عبدالمحسن ٣٨٠ .
(٢) المذاهب الوجودية ريجيس جوليفية ٢٧ / وانظر الوجودية جون ماكورى . ٨٣ ترجمة إمام عبدالفتاح إمام . مراجعة د/ فؤاد زكريا ط ١٩٨٦م دار الثقافة للنشر والتوزيع .
(٣) نقلا عن تيارات معاصرة أ.د / حسن محرم ٢٥ .

جان بول سارتر " أن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته وبحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يريد ، ولا يبالى بالدين أو العرف [١] . إلى غير ذلك من التعريفات المتعددة [٢] التى وصلت فى بعض الأحيان إلى درجة من التضاد والتناقض التام الأمر الذى أدى بالتالى إلى تعدد اتجاهات الفكر الوجودى الذى أدى بدوره إلى أن انقسمت الوجودية إلى تيارين متعارضين .

الأول : الوجودية المؤمنة : التى صارت فى طريقها مستلهمة أفكارها من المسيحية ومنح أتباعها مشكلة " الإنقاذ " الصدارة على نشاط المعرفة والمنفعة ، ومن أتباع هذه الشعبية من قد تأثر بالمذهب الظواهرى ، فضل كثير منهم فى افكارهم التى كانت أول الأمر مسيحية ، ثم انحرفت وضلت فهوت فى قاع الشك والاضطراب ، وهذا اللون يشاهد بخاصة فى الفروع الألمانية [٣] .

ومن أشهر زعمائها : ١- سورين كيركيجور { ١٨١٤ – ١٨٥٥ } وهو مؤسس المذهب الوجودى الذى أطلق عليه أبو الوجودية لأن تأثيره امتد ليشمل الوجوديين الممثلين لكلا التيارين .. ٢- كارل بارت ٣- شيلر : ، ٤- جاسبيرس ، - و " بير دبائيف ، شيستوف ، سولوفيف " ويعد هؤلاء الثلاثة من أبرز الشخصيات الروسية التى نادت بالوجودية للعمل على تحقيق الوجود الفردى الذى سحقته الشيوعية من أجل المجموع ، وجاسبر بيل مارسيل ، ولويس لافيل ، ويعتبران الممثلين الآن فى وضوح لهذه الشعبة الوجودية .

الثانى : الوجودية الملحدة : والتى هى موضوع دراستنا فيأتى فى مقدمتها " بنيتش " وهو منفرد فى بابه منعزل فى آرائه لأنه يبدأ آراء مذهبه بجحود الألوهية وهو إذ يجحد الألوهية يجحد بالطبع جميع القيم الأخلاقية التقليدية المرتبطة بالدين ارتباطا أساسيا ، وهو لا يقبل كحقيقة سوى الحياة والعزلة التأسيسية للإنسان الذى يجب أن يجابه بها مصيره المنتهى إلى العدم المطلق ، وذلك هو عين النهج الذى سلكته الوجودية الملحدة فيما بعد .

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ٢٠٩ .
(٢) انظر تيارات معاصرة أ.د / حسن محرم : ٢٨/١٢ : والفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم : ٤٥٧.
(٣) الإسلام وتيارات الفكر المعاصر ٤٧/٤٦ .

وثانيهما : مارتان هيدجر " ١٨٨٩ م " وهو فيلسوف المانى من فلاسفة القرن العشرين ويعد من ألمع أنصار هذا المذهب .

وتقوم وجودية هيدجر " الإلحادية على مذهبين فلسفيين كانا شائعين فى فلسفة القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى " ظاهرية هرسرل " " ووجودية كير كجور " فمن الثانى أخذ مأساة وجود الإنسان فى عالم المحدود ، وما يتولد عن ذلك من شعور بالقلق والزلة . ومن الأول أخذ منهج الاستبطان ، واختبار الإنسان لذاته ليتخذ منها وسائل تحليل الطبيعة البشرية وما دام الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على اختبار نفسه فهو الكائن الوحيد الذى يسبق بوجوده الفردى وجود ماهيته المجردة .

وثالثهما : وهو أشهر زعمائها المعاصرين " جان بول سارتر " الفيلسوف الفرنسى المولود ١٩٠٥ بباريس ت ١٩٧٩ م " ولما نشأ بدأ دراسته فى مدينة "لاروسيل " ثم أتمها فى باريس وقد ظفر " بالأجريجاسيون " ثم عين أستاذا للفلسفة ، وقد اجتذبته الفلسفة الألمانية فسافر إلى برلين ومكث بها سنة على نفقة المعهد الفرنسى، وهناك تأثر أشد التأثير بمذهب الهوسيرلى الذى كان فى تلك الحقبة بدعة العصر فى ألمانيا .

وفى سنة ١٩٣٨ قام بنشر مؤلفه الأول أو رواية " الغثيان " التى تشتمل على كثير من معالم النظرية الوجودية التى أعلنتها فيما بعد واضحة صريحة .

وفى سنة ١٩٣٩ نشر مجموعة قصص عنوانها " الحائط " وعندما قامت الحرب العالمية الثانية جند فى الجيش ثم أسر فى سنة ١٩٤٠ وظل أسيرا حتى أطلق سراحه سنة ١٩٤١ ثم عين استاذا للفلسفة فى " لسيه ياشور " . وفى أثناء سنى الاحتلال تظهر اثنتان من محاولاته هما (المتخيل) فى ١٩٤٢ ، و (الوجود والعدم) فى سنة ١٩٤٣ ، ومسرحيتان هما (الذباب) و (الباب المغلق) .

وقد أحرزت مؤلفاته نجاحا جعلته يشار إليهم بالبنان ، وجعلت مؤلفاته واسعة التداول وصيرت نظرياته عظيمة الانتشار والتأثير ، وبالتالى قد أضحى عميد الوجودية الملحدة بل أكثر من ذلك فالعديد من تلاميذه وأشياعه ينعتونه بأنه مؤسس هذه الوجودية ، وهذا صريح البطلان ، لأن الوجودية بوصفها كونها فلسفة قد سبقت سارتر إلى الوجود بزمن بعيد ، وإنه لم يكن سوى عالة على مؤسسيها الحقيقيين أو

محاكيا لهم ، وإنما بحق له الفضل فى انتشارها والترويج لها بين الجماهير التى لا تندرج تحت الحصر .

و " الوجودية التى تتمثل فى كتابة سارتر هى وجودية الفخر بالألم والشدة واعتماد النفس على النفس فى اختيار الطريق المرتسم لها فى أعماق سريرتها على وفاق كيانها الشخصى " . وفى رواية " الذباب " – لسارتر – يقول أورست مخاطباً جوبيتر " الأرباب ! سيدى الإله ! كان عليك أن تخلقنى حرا ، وما إن خلقتنى حتى انفصلت عنى وتخليت عن نسبتى إليك . فإنما لم أعد ملكا وليس ثمة فى السماء من خير أو شر وإنسان يصدر إلى الأوامر !. لن أعود أخضع لشرعك ، ولست محمولا على الخضوع لغير شريعتى أنا لأننى إنسان يا جوبيتر ! وعلى كل إنسان أن يبتكر طريقه بنفسه " .

ويقول سارتر : " لقد صنعت ذاتى لاننى لم أكن إبنا لأحد ، والإنسان لا يوجد بل يصنع نفسه " ومن ذلك يتبين أن التنشئة الخاطئة ، والبيئة الفاسدة .

والحرص على المصالح الشخصية والجرى وراء الأهواء والشهوات من أهم أسباب الإلحاد .

ومن المعروف أيضا أنه رفض جائزة (نوبيل) التى قدمت إليه أخيرا ، وكان ذلك من باب الدعاية التى يتقنها اليهود حتى تروج أفكاره وينتشر مذهبه ، بدليل إن أذنابه قد أقاموا الدنيا وأقعدوها حول هذه الحادثة ، واستغلوها فى الدعاية لنزاهة زعيمهم وترفعه عن أعراض الدنيا ومنافعها ، ولكن ينبغى أن تتبين الحقيقة فى وسط هذه الضوضاء التى أصمت الأسماع وملأت الصحف العالمية ، وهذه الحقيقة هى إن المقصود أولا وأخيراً هو الدعاية بمعناها الدقيق الذى عض عليه سارتر بالنواجذ منذ طليعة شبابه ، ولم يفارق أية خطوة من خطوات حياته . والذى كان له نصيب الأسد فى تكوين هذه المكانة العالمية التى ظفر بها على حساب الموهوبين والمنتجين . وحين حضره الموت سأله من كان عنده ترى أين قادك مذهبك ؟ فأجاب بأسى عميق ملؤه الندم " إلى هزيمة كاملة "[1].

---

(١) انظر الوجودية المؤمنة والملحدة د/ محمد غلاب ، / ٢١ وكواشف زيوف د/ عبدالرحمن حبنكة /٣٥٩ وملامح المذاهب الوجودية أ.د / عدنان زرزور / ١٥ .

ثانياً : نشأة المذهب الوجودي

نشأت الوجودية من جهود اثنين من مفكرى القرن التاسع عشر هما " سورين كير كجور " الفيلسوف الدنماركى اللاهوتى البروتستانتى الذى يعد مؤسس الحركة ، و " فريدريك منشيه " الفيلسوف الألمانى ، وتشمل قائمة المفكرين الوجوديين فى القرن العشرين الفرنسيين كاليركامو ، وجون بول سارتر ، ومارتن هيدجر ، والمفكر الروسى الدينى السياسي نيقولاس بيرديف والفيلسوف اليهودى مارتن بوبر .

وتعد الوجودية إلى حد كبير ثورة ضد فلسفة أوربا التقليدية التى وصلت ذروتها لدى الفلاسفة الألمان إيمانويل كانط ، وجورج ولهلم ، وفريدريك هيجل "[١] .

فقد كان القرن التاسع عشر يمثل فى نظر الوجودية القرن الذى قتل الفرد ومثل به أشنع تمثيل حتى أصبح اختفاء الفرد من فلسفة " أوجست كونت وهيجل " وغيرهما ضرورة طبيعية فى المذهب المادى ، وضرورة للنمو العلمى فيما يقولون ويزعمون "[٢] .

ومن ثم فقد " بدأت الوجودية بمؤسس هذا المذهب فى العصر الحديث وهو "سورين كير كجور " الدنماركى ١٨١٣ – ١٨٥٥ م " وكانت حياته تفسر مذهبه .... وكان الأساس الذى تقوم عليه الوجوديات السليمة هو إنصاف الفرد من طغيان الجماعة – كرد فعل ضد طغيان المذهب الشيوعى وسيطرة الجماعة على الفرد وحدثت له صدمة عاطفية فاختار وجوده أن يعيش على سنة السيد المسيح فى هذه الدنيا " [٣]. وكان " كير كجور " شخصية منحرفة ، شأنه شأن " نتشيه " أمه كانت خادمة ، تزوجها أبوه سراً ، وكان هو أحدب الظهر مما ضاعف علته النفسية ، وزاد شعوره بالنقص . وقد صدم فى مقتبل الشباب بالصدمة التى دفعته إلى هذا الإختيار

---

(١) الموسوعة العربية ٥٤٥ .

(٢) الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث : د/ عبدالقادر محمود – ط الهيئة المصرية العامة للكاتب ١٩٦٨ م .

(٣) انظر : أفيون الشعوب : أ. عباس العقاد – ٩٩ – دار الأنصار ١٩٧٥ م . الإسلام والفلسفات المعارضة /د . عبدالقادر محمود ٢١٤ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٨ م .

الذى ينطوى على أعمق دلائل التمزق والفصام ! فقد أحب الفتاة " ريجينا ألسن " وبادلته الحب فى بادئ الأمر ، ولكنها ما لبثت إن تركته واقترنت بغيره ، وتبين له فى الثامنة عشرة من عمره أنه لم يخلق للصلة المثمرة لو تزوج !! لذا فقد قرر المتجه الذى يتجه إليه عند مفترق الطريق ، فكتب كتابه الباكر المسمى " إما . أو" وفحواه : إما أن تجد نفسك أو تفقدها كل الفقدان . وقد دار هذا الكتاب على هيئة الحوار بين إنسان فنان وإنسان يدين بالأخلاق ... وقد جعل الفنان فى كتابه مثلاً للحيرة المضللة ، وجعل المتدين مثلاً للطمأنينة الوادعة . والعجيب أنه جعل هذه الطمأنينة طمأنينة الأسرة والزواج !.

فإذا صح ما يراه بعض الباحثين من إن شخصية " كير كجور " من الأصل تنطوى على تذوق الفن والجمال ، فهل معنى ذلك أنه عبر فى هذا الكتاب عن "وجوديته " الحيرى الضالة والمضللة ! والذى لا شك فيه عند الباحثين فى حياته أنه كان صاحب أطوار غريبة ! على كل حال والذى لا شك فيه أيضا أنه وجد نفسه بعد تلك الصدمة [١].

وإذا كان كير كجور " يعتبر أبو الوجودية فى فاتحتها الكبرى فذلك لأنه كان أول من هاجم الهيجلية هجوماً صارخاً ، لما فى منهجها الجدلى من رغبة عقلية مذهبية ، كما أنه كان أول من جعل من أزماته النفسية وتجاربه الوجودية نقطة البداية فى كل فلسفته حتى وصل فى النهاية إلى أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان بالله إلا بإنكار العقل والمنطق ، والوجود الحقيقى مع الصمت الذى هو كالقبر ، ومع الهدوء المطلق الذى هو كالموت كما يقول صاعدا على معراج باسكال (١٦٦٢ م) الذى ضحى بالعقل فى سبيل الإيمان .

نقول إذا كان كير كجور أبو الوجودية ورائدها فإن نيتشة (ت ١٩٠٠م) هو الذى فتح الباب الرهيب للوجودية فى كل تطوراتها ، عندما أعلن موت الآلهة ، التى هى المثل العليا والقيم الخالدة التى يستند إليها الإنسان فى تقدير الأمور ، والحكم عليها

( ) انظر نشأة الوجودية أ.د / عدنان زرزور ص١٢ . ودراسات فى الفلسفة الوجودية د/ عبدالرحمن بدوى /٣٢ ط دار الثقافة بيروت لبنان ط الثانية ١٩٧٣ م .

أولها ويهتدى بنورها فى التمييز بين الخيروالشر ، حتى رسخت من وراء هذه الدعاوى دعائم النيهليسية تلك التى أولدت بعدها الدادابية واللامعقولية "[١] .

ومما لا شك فيه أن فلسفة نيتشه منبثقة من فلسفة " شوبنهور " الذى نادى فى كثير من نصوصه بأن " الإنسان قد اخترع فكرة الله وانى أعلمهم بهذا حتى لا يعودوا لدفن رؤوسهم فى رمال الأشياء السماوية ، وإنما يحملون هذه الرؤوس حرة ، رؤوسا من الأرض لتهبب الأرض معنى "[٢] . ومن هنا اندفعت الوجودية فى دعوتها فى مذهبها إلى عدم الإيمان بالله . وأن فكرة الله من خلق الإنسان .

ومن الجدير بالذكر إن هذا المعتقد تأثر بسقراط الذى وضع قاعدة (اعرف نفك بنفسك) وتأثر بالرواقيين الذى فرضوا سيادة النفس ، وهى كذلك نتاج لمختلف الحركات الداعية إلى الإلحاد والإباحية .

وقد عبر الكثيرين من الوجوديين عن آرائهم فى إنتاجهم الأدبى وفى اعتقادهم كأن الفلسفة تشبه الفن أكثر من شبهها للعلم . وأدخل الوجوديون أنفسهم فى المنازعات الاجتماعية والسياسية معتقدين أن مسئولية كل الأشخاص تفرض عليهم إن يشاركوا فى هذه المنازعات وأن يتخذوا منها موقفا " . ويتضح من هذا أن الفلسفة الوجودية تضع مشكلة الوجود فى المقام الأول وقبل كل شئ ، فكون الإنسان موجودا أهم من كونه مفكرا وحساسا .. ومن اسمها ما يدل على أنها تعبير عن حقيقة هامة هى أن معظم أعضائها قد اهتموا مبدئيا بطبيعة الوجود أو كينونته ، ويعتبرون أن الوجود الإنسانى الركيزة الأساسية والمنطلق الأول لكل أشكال التفكير . ذلك أنهم يقصدون بمصطلح الوجود " الوجود البشرى ، كما سنرى ذلك بالتفصيل من خلال الحديث عن مبادئ هذه المذاهب فى الفقرات التالية – إن شاء الله .

(١) الفكر الإسلامى الفلسفات المعارضة ٢١٤ : د/ عبدالقادر محمود .

(٢) انظر الفكر الإسلامى والمذاهب المعارضة ٢١٤ .

ثالثاً : عوامل ظهور الوجودية

يمكن حصر العوامل التى أدت إلى ظهور الوجودية وانتشارها فى النقاط التالية :

أولاً : من المعلوم أن لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الإتجاه ، ولقد كان يعزى ظهور الوجودية كفكر مادى إلحادى إباحى كرد فعل لأمرين أساسيين هما :

الأمر الأول : يمكن فيما يذكره كثير من الباحثين من أن ظهور الوجودية جاء كرد فعل على تسلط الكنيسة وتحالفها مع الملوك النصارى على استعباد الشعوب النصرانية واستذلالهم ، واستغلالهم باسم السلطة الروحية والدينية ، وتحكمها فى شئون الإنسان بشكل متعسف باسم الدين وفرضها آراء تصادم العقل وتصادم من قبله الفطرة....

ويعبر " كير كجور " تعبيرا ساخرا عن أثر الكنيسة فى نفسه بقوله : " إن الصليب هو الصورة الوحيدة والإنفعال الوحيد اللذان كانا عندى عن المنقذ ، ورغم طفولتى كنت كأنى رجل مسن ، وقد رافقتنى هذه الصورة كل حياتى ، ومنذ طفولتى الأولى نفذ سهم الحزن فى قلبى ، وما دام فيه فإننى سأظل ساخراً ولو انتزعته لمت[١].

الأمر الثانى : الحروب : كما كان ظهور الوجودية كرد فعل لما عاناه الغرب من ويلات الحرب العالمية الأولى والثانية والتى أورثت الشعوب الجوع والتشرد والحرمان ، ومزقت الأسر وأزالت المدن ، وألقت بالآلاف فى لهيب الدمار والخراب والموت ، ومن هذا الباب جاء نداء " ترديف " الذى عاش عصر القيصرية ، ثم أزمة الشيوعية وما ساقته من مشانق وهلاك ، ثم شاهد فى برلين دمار الحرب وذاق ذل الإعتقال ، وشاهد الجنود وهى تعبث بجماجم البشر ، والجثث وسنابك الاحتلال تدوس هذا وذاك ... وكان مع هذا دعوته للجرذان التى عاشت تحت الأنقاض سنوات ، وفى

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة : د/ على جريشة ١٤٧ – ط دار الوفاء المنصورة ١٩٩٠ .

الخنادق أعواما أن هبوا من نومكم ، وأفيقوا من سكرتكم ، وأعيدوا ما فقدتم من أيامكم ، واطرحوا وراء ظهوركم كل ما يربطكم بأمور الدين ، ومبادئ الخلق وقواعد العرف [١] ، فما نتج عن هذه الحرب من دمار وقتل وتفتيت للأسرة . كان مدمرا لكل شئ .

ثانياً : يضاف إلى هذين الأمرين أن ظهور الوجودية إنما كانت كرد فعل على المذاهب المادية الجماعية – الشيوعية الماركسية – كمذهب يلغى الفردية وحقوقها فى الجماعة والتى تعتبر وجود الفرد فى الدولة أو المجتمع عارضا أو ثانويا، على ما هو معروف من جدلية هيجل على وجه الخصوص ، هذا من جانب ومن جانب آخر أنها تأثرت بالعلمانية وغيرها من الحركات التى صاحبت النهضة الأوروبية ورفضت الدين والكنيسة ، فكان هذا الإتجاه الفلسفى ردة فعل عنيفة على تسلط الكنيسة وتحكمها فى الإنسان باسم الدين ، ومتأثرا بالعلمانية التى رفضت الدين والكنيسة ودعيا إلى الإلحاد باسم الوجودية ، ومتأثراً بظروف الحرب القاسية التى شهدتها أوربا فى ذلك الوقت ، مجاريا الحركات الداعية إلى الإلحاد كالعلمانية والمادية نقول : إن هذا يكمل السبب الأساسى السابق ، لأنه ليس أكثر من نتيجة من نتائجه ... فقد ولدت هذه التيارات أو الحركات الجماعية بعد الحرب العالمية الأولى فى روسيا وبعض بلاد أوروبا الشرقية .. وتركت طابعها ورعبها أول الأمر فى أوروبا كلها على وجه العموم .. أى إن هذه المذاهب الجماعية ليست فى حقيقة أمرها أكثر من أثر من أثار التمزق الذى أصاب المجتمع الأوروبى .

ولهذا لم يكتب لها النجاح إلا فى مجتمع ما بعد الحرب . على أنه يمكن القول هنا : إن هذه المذاهب لعلها من بعد الوجوه محاولة يائسة – وإن كان لا يبدوا أنها كذلك حتى الآن ! – للإبقاء على المبرر السابق ، أو مد أجله حقبة أخرى من الزمان بعد أن أوشك على الإنتهاء والزوال ! ونحن على كل حال لا نشك فى أن " الماركسية" بوصفها بنت المجتمع الأوروبى ، أو البنت غير الشرعية للنصرانية كما قال " نتشه " هى الفلسفة التى مدت فى أجل الحضارة الأوروبية ، حين هيأت لها فرصة " افتراس " أبناء العالم الثالث [٢] .

---

(١) المذاهب المعاصرة د/ عبدالرحمن عميرة ، نقلا عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة ١٤٧ .

(٢) مشاة الوجودية : أ.د / عدنان زرزور / ٥٥ .

فكان ثمرة هذين الأمرين أن ظهرت الوجودية على المسرح العالمى كمذهب يقوم على تقديس حياة الفرد ولمواجهة الفكر الماركسى الذى يقضى على الفردية والمجتمع .

ثالثاً : نضيف إلى ذلك عاملا آخر هو الميل البشرى إلى التردى ، وهو ميل يساعد على خفة الوازع الدينى أو اختفائه ، كما يساعد على كراهية " رجال الدين " من خلال سلوكهم مع الناس وأمام الناس ، وقد توافر ذلك كله فى الغرب ... بل توافرت له ثورة على الدين تمثلت فى قولتهم " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"[١].

المهم هنا أن النقطة التى نود الوقوف عندها أنه إذا قارنا هدية تسلط الكنيسة وتحكمها فى شئون الإنسان بشكل متعسف ، بهدية الحرب العالمية الأولى والثانية ، وجدنا أن هدية تسلط الكنيسة كانت أفدح وأعظم ، فإنه إذا كانت الحرب العالمية الأولى والثانية قد تمخضت عنها نزاعات التحلل والانحلال والانهيار الأخلاقى وما نتج عن ذلك من مذاهب إلحادية ، نقول : إذا كان ذلك كذلك ، فقد أهدتنا تسلط الكنيسة نتاجا آخر تسربت فيه موجات النزعة المركزية والميل إلى استئصال الآخرين ، حتى أصبحت هذه الروح الإستعمارية كأنها أديان حديثه ، الأمر الذى ترتب عليه " أن أصبحت " الحضارة الأوروبية المعاصرة هى حضارة إستعمارية ، قامت على التميز ، وتقسيم البشر إلى أوروبى مستعمر – بكسر الميم – يتمتع بجميع الحقوق ، وإلى غير أوربى مستعمر – بفتح الميم – مسلوب من جميع الحقوق ، وهذه النقطة هى التى توضح لنا كيف أن أوربا عاشت فى فصام عجيب بين الدعوة إلى مبادئ إنسانية كتلك التى " كرستها " الثورة الفرنسية تحت عنوان " مبادئ الثورة الفرنسية أو حقوق الإنسان ، وبين أسوأ ألوان الإستعباد والإذلال وسرقة الأحرار من الشواطئ الإفريقية ونقلهم إلى العالم الجديد فى أبشع صورة ، وتحت شروط دون شروط حياة الحيوان الأعجم !!

هذه الروح الإستعمارية أو المبرر الإستعمارى عاشت عليه الحضارة الأوربية بشقيها الرأسمالى والشيوعى على حد سواء ! وأقول فى إشارة عابرة من شك فى هذا

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة : د/ على جريشة ١٤٧ . ط دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة.

الذى نقول فليسأل الجمهوريات الإسلامية المستعمرة فى روسيا والصين ، ونسبة ما تمد به هذه الجمهوريات الإتحاد السوفيتى من موارد ومواد خام فى عصر " نهضة " الروس ... !! بل ليسأل عن سياسة الوفاق وتقسيم مناطق النفوذ وما يجنيه الروس وغيرهم من موارد " الشرق الأوسط " ... وليسأل عن شبه القارة الهندية وعن القرن الإفريقى .. إلخ .

مرة أخرى ، المهم إن أوربا – وقبل أن تصبح شقين يكمل بعضها بعضا ، ولا يختلف معها فى جوهر الحياة ، ولا فى موقفه الأخير من العالم الإسلامى !! – عاشت على هذا المبرر الإستعمارى وفى هذا المناخ العجيب الرهيب .. حتى صار "الإستعمار" رسالة الرجل الأبيض ، وإلا فبماذا نصف نفى " فيكتور هوجو " الشاعر الفرنسى فى ملحمة شعرية عجيبة " بفتح " الروس لمدينة بخارى الإسلامية ؟! وبماذا نصف نزول تاجر يدعى " ستانلى " إلى الكنغو ليحتلها برجاله ومعداته وأمواله – وقد لاحظ أنها لم تلون خارطتها بلون أى من الدول الأوروبية الإستعمارية كما جرت بذلك العادة فى تلك الحين حتى صارت تدعى بالكنغو البلجيكى ، فاحتلها وقدمها هدية لملك البلجيك ... بوصفه مواطنا بلجيكيا مخلصا !! وقد تكفل الأستاذ مالك بن نبى – رحمه الله – ببيان أثر هذا المناخ على الطفل الأوروبى الذى كان يولد فيه ، وما يراه فى منزله من صورة " الفارس " الأوروبى الذى لا يقهر .. وما عسى أن يكون قد انتهى إليه من التحف والذخائر التى جمعها أجداده وزينوا بها ردهات البيت من العاج أو النسيج أو الصور ونحو ذلك .. وعلينا نحن الآن أن نلاحظ أن هذا المناخ الاستعمارى فى الثقافة الأوربية على وجه العموم قد تولد فى هذه الفترة التاريخية حتى أن قسما من هذه العلوم ولد فى المستعمرات أو أدى دوره الاستعمارى المأمول أو المرسوم . هذا هو مبرر هذه الحضارة ، وتلك هى روحها ... (١).

ففى هذا الوقت الذى فقد فيه الفرد الأوروبى " مبرر " الوجود مع تدهور حضارته وانتهاء رسالة الإستعمار عاد إلى ذاته ليبحث فيها عن مبرر جديد لوجوده ... فولدت " الوجودية " فى أوروبا " (٢) .

(١) نشاة الوجودية أ.د / عدنان زرزور ٥١ ، ٥٢ .
(٢) المصدر السابق / ٥٣ .

نخلص من هذا إلى أن المراحل التى مرت بها أوربا والحالات النفسية التى خضعت لها شعوب الغرب كان لها الأثر الأكبر فى ظهور الوجودية نتيجة لحالة القلق التى سيطرت على أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى واتسعت مع الحرب العالمية الثانية وسبب هذا القلق هو الفناء الشامل الذى حصل نتيجة الحرب " (١) .

" ولهذا فإن هذا المذهب لم يسر فى البلاد الألمانية إلا بعد الحرب العالمية الأولى على إثر الهزيمة التى منى بها الألمان . ثم بدأ ظهوره بعد ذلك بأربع سنوات فى فرنسا .. وبقى فيها بدعة مقصورة على فئة قليلة حتى كانت الحرب العالمية الثانية ومنيت فيها فرنسا بتلك الهزيمة النكراء فكانت فيها الوجودية أقوى ما تكون ، وتعددت مذاهبها أكثر ما تكون حيث بلغ السقوط الإستعمارى أوجه لأنه كان يحمل فى طياته أسوء أنواع المفارقات يوم اقتحم الجنود الألمان شوارع باريس وفرنسا لا تزال مصرة على أن الجزائر العربية المسلمة جزء من فرنسا النصرانية الأوربية الإستعمارية !! .. لقد بلغ هذا التناقض أوجه على أرض عاصمة الإمبراطورية الفرنسية ، وقد أضحت هذه الإمبراطورية العتيدة منتصرة مهزومة !! يقول " لوبيسك " فى كتابه عن " البير كامى " – وكان كامى يوم دخل هتلر مدينة باريز فى حيزران ١٩٤٠ م واستعرض جيوشه على طريق " الشانزلزيه " .... كان يعمل سكرتيرا لصحيفة باريس المساء – قال :

" من البديهى أن يستشرى بعد الهزيمة رد فعل سياسي كما تستشرى الأمراض ذات الفيروس ، لقد ظل " كامى " برقباء الصحف فوجدهم على غرار أقرانهم فى الجزائر ، إلا أنهم أصبحوا الآن – بعد الهزيمة – أكثر تعنتا واستبدادا من ذى قبل ، وكيف لا ؟ وهم يدعون المهزومين المنتصرين !" .

فالثورة الفرنسية مثلا بسمعتها الغوغائية التى امتهنت فيها حرية الفرد واعتدى على كرامته والحركات القومية التى ظهرت أثناء القرن التاسع عشر وما تبعها من

(١) كلمات من الحضارة د/ منصور عيد ٢٤٨ .

حروب أهلية صعدت هذا الاتجاه ، والفكر الماركسى الذى فسر التاريخ تفسيرا ماديا بناء على أساس صبغى جعل الفرد فيه مجرد ترس فى آلة الجماعة لا أهمية له ولا قيمة خاصة لوجوده [١] .

ولهذا فإن الهزائم لم تتلاحق عليها بعد ذلك على صعيد الدولة والأمة فحسب – فسقطت فى فيتنام وفى الجزائر وفى إفريقية – بل على صعيد الفرد حيث اندفعت فيها دفعة جامحة إلى الإيمان بالحرية العمياء التى لا تدين بالسلطان لرياسة مقررة ، أو هيئة من الهيئات . ولهذا كان خلاصة المذهب الوجودى أن يهتدى الإنسان إلى وجوده بنفسه ، وأن يكون " موجوداً " بالنسبة إلى نفسه كذلك ، وأن يكون بهذه المثابة شيئا لا يتكرر ولا يتعدد !! .. لا نقول : إنها فوضى رهيبة خلعت عن عاتقها فكرة الدولة والمجتمع والقانون والإيمان ، وكل ما يتصل برسالة هذا المجتمع أو تلك الأمة بوجه من الوجوه !! .. ولكننا نقول قبل ذلك : تحطم اجتماعى هائل أنهى رسالة الإستعمار ، وترك " المفكرين " على الأقل يبحثون عن مبرر من الداخل ومن الذات جديد [٢] .

وأخيراً ، فإنه إذا كانت الدواعى لنشأة المذاهب الوجودية قائمة فى المجتمع الأوروبى وحضارته الإستعمارية بعد أن فقد هذا المجتمع كما قلنا المبرر الذى عاشت فيه هذه الحضارة ، ودارت عليه عجلتها طيلة خمسة قرون ... فإن الذين " عبروا " عن هذه المذاهب والأخلاط الوجودية هم أولئك الذين أوصلتهم ظروفهم الحياتية الخاصة إلى تحطم نفسى مواز لذلك التحطم الإجتماعى ، حتى كانوا أول من يقوم بهذه المهمة فى مجتمعاتهم .

وهذه واحدة من السنن الإجتماعية فى التعبير عن الآراء والأفكار ، والتى لا تخفى عن المشتغلين بالدراسات النفسية والإجتماعية ، ويدل على هذا من الوجه الآخر أو من الطرف المقابل أن المؤسس الأول للوجودية – سورين كيركجارد – الذى توفى فى أواسط القرن الماضى (١٨٥٦) وله من العمر ثلاثة وأربعون عاما ؛ والذى بلغ

(١) قضية العنابة والمصادفة فى الفكر الغربى : د/ سارة بنت عبدالمحسن ٣٧٩ .
(٢) نشأة الوجودية أ.د/ عدنان زرزور ص٥٣ ، ٥٤ .

عنده التحطيم النفسى أوجه ، كان قد سبق له أن عبر عن بعض الآراء الوجودية فى وقت مبكر ، إلا أن آراءه تلك بقيت حبرا على ورق حتى بلغ المجتمع الأوروبى نفسه تلك المرحلة من التحطيم الإجتماعى وفقدان المبررات فوجدت آراؤها ، يوم ذاك ، من يحملها ويبشرها ويدعوا إليها ... ولهذا لم يتم ذلك فى بلده الدانمارك .. ولكن تم فى ألمانيا وفرنسا !! [١].

نخلص مما سبق إلى إن أهم الأسباب التى أدت إلى نشأة الوجودية أنها جاءت كرد فعل على تسلط الكنيسة وتحكمها فى الإنسان بشكل متعسف باسم الدين ، وطغيان التفكير المذهبى على عقول الناس كما أنها تأثرت بالعلمانية وغيرها من الحركات والتيارات الفكرية السائدة التى صاحبت النهضة الأوروبية ورفضت الدين والكنيسة بعد الانهيار الحضارى والإنحلال الأخلاقى فى المجتمع الغربى .، ونتيجة لحالات القلق والضغط النفسى التى مر بها المجتمع الغربى وخاصة فرنسا ، وألمانيا ، والدويلات المجاورة لها .

المبحث الثانى
مبادئ ومعتقدات الوجودية

أولاً : إنكارهم لوجود الله :

المبدأ الأول الذى يؤسس عليه الوجوديون مذهبهم هو أنهم لا يؤمنون بوجود الله وإنما يعتقدون " أن الإله غير موجود " كما يقول هيدجر [٢].

فإنكار وجود الله هو القاعدة الأساسية التى أقام عليها الوجوديون الملحدون فلسفتهم وبنوا عليها جميع آرائهم ومعتقداتهم ، فهم يكفرون بالله ورسله وكتبه ، وبكل الغيبيات ، وبكل ما جاءت به الأديان ، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد قاعدة وركيزة أساسية لمذهبهم " فهيدجر " الذى جعل الوجود محورا لفلسفته إنما أراد بذلك تخليص لفلسفته من فكرة " الله " ومن ثم لم يبق فى

(١) انظر نشأة المذهب الوجودى أ.د / عدنان زرزور ٥٧ بدون .
(٢) الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى : د/ محمد إبراهيم ١١٤ .

مذهبه مكانا لوجود الله ، فيذهب إلى أنه ينبغى التخلى عن الإدعاءات بالوصول إلى حقيقة مطلقة ، ذلك إن الحقيقة المطلقة – إن كان لهذه العبارة معنى – إنما هى هوة العدم ، وأن العلو عنده هو التجاوز أى تجاوز الآنية – الموجود – لنفسها بالضرورة لتحقيق وجودها فى العالم " (١).

ومن هنا فإن " هيدجر " الوجودى الملحد الذى استقى منه سارتر آراءه يقول : " ليست الوجودية غير محاولة تعتمد الإلحاد مبدأ تنطلق منه لبلوغ كل النتائج الممكنة ، وهى لا تلقى الإنسان فى غياهب اليأس القاتل ، أما إذا اعتبر البعض إلحادنا بالله يأسا، فالوجودية يأس شديد عميق ، إنها لا تسعى للتدليل على وجود الخالق ، بل تكتفى بإثبات أن شيئا من الوجود لا يتغير لوجود الخالق فهو عاجز عن أن يحدث أى تبديل فيه " .

وقال زعيم الوجوديين الملحدين " كير كجور " لا يصح أن يقال إن الله موجود لأن الموجود هو الإنسان ، والذى يتغير هو الإنسان ، فله زمان ، أما الله فلا زمان له فهو غير موجود ، بل هو غير كائن " وأما " جون بول سارتر " الذى ارتبطت الوجودية باسمه عند الكثير من الناس فهو يقول : " أنه لا يوجد لدى الله أى حل لأى مشكلة من مشاكل الوجود ، لأن الله غير موجود ، ولأن الحلول الدينية للمشاكل تحد من الحرية الوجودية (٢) .

ومعنى هذا أن الوجوديين ينكرون فكرة الله أو الخالق على أساس أن وجود الله – فى نظرهم – أمر لا مبرر له على الإطلاق فهو وإن وجد أمر عبثى زائد ومخالف للمنطق إذا الكون ليس فى حاجة إلى وجوده فهو يقوم بنفسه ويسير وفق ما فيه من قوانين ونواميس تنظم مصيره ويرتبط بعضها ببعض بأسباب وعلل متسلسلة ، وفى ذلك يقول سارتر : " كل شئ كان يوحى بأن تسلسل الأسباب يعطى نظاما عكسيا وطرديا (٣).

---

(١) المذاهب الوجودية – جوليفية اريجيس ١٠٧ – ١١١ .
(٢) المستشرقون والإسلام لزكريا ٩٨ – ١٠٥ .
(٣) قضية العناية والمصادفة فى الفكر الغربى : د/ سارة بنت عبدالمحسن ٥٢٩ .

ويقول : أيضاً " ليس هناك أكوان أخرى غير كون إنسانى واحد وهو الكون المنسوب إلى الذاتية الإنسانية (١) ويستند " سارتر " فى إنكاره لوجود الله على دليل فى غاية السذاجة والخطأ تولد عنده من اعتباره العالم هو الموجود فقط ، وليس وراءه وجود آخر وأنه إذا كان هناك إله فلا بد أن يسأل عن المادة وسببها فما سبب وجود الله ؟.

فيقول : لكى يؤسس الموجود وجوده ينبغى إن يكون موجودا قبل أن يوجد ثم يقول : إن الموجود كعلة لذاته ، ينبغى إن يكون موجودا كعلة قبل أن يكون موجودا كمعلول ، وفى هذه الحالة يبقى تعليل وجوده كعلة (٢) وهذا جلى البطلان .

ومن هنا فالوجوديون لا يخفون إلحادهم ومحاربتهم للدين ، لأن ذلك صلب مذهبهم الذى يؤسسون عليه مذهبهم (٣).

فسارتر ينفى وجود فكرة وجود الله أو (المطلق) تلك الفكرة التى أخذت قيمة مطلقة فى حياة البشر ، فإنه يرى أنها لا تعدو أن تكون عبثا وخادعا لأنها فكرة متناقضة " فإن الله يعنى أنه الموجود الذى يقرر الوجود فى ذاته دون إن يكون هذا الوجود خارجا عليه ودون أن يتضمن هذا التقرير أى احتمال لنفى الوجود ولكن هذا ممتنع ومتناقض : إنه ممتنع لأن الوجود يقتضى ضرورة نفى الوجود كشرط سابق لتأسيس الوجود ونحن قد رأينا أن الإنسان كى يقيم الوجود لا بد له من أن ينفصل عنه وينفيه فنفى الوجود شرط لتقرير الوجود وهو متناقض ، لأن تقرير الوجود يقتضى أحد أمرين :

إما أن يكون الوجود سابقا على الله فلا يعود من ثمة إلها ، وإما أن يكون الله هو علة ذاته وهذا – كما يرى سارتر – بادى التناقض لأنه يعنى أن الله لكى يؤسس وجوده الخاص عليه أن يوجد فكرة الله إذا بعده موجودا يقرر الوجود فى ذاته أى موجودا يتحد فيه الوجود – لأجل ذاته ، والوجود – فى ذاته فكرة متناقضة وممتنعة فليس من ثمة إله فى فلسفة سارتر (٤) .

---

(١) سارتر نزعة إنسانية ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ٩٣ .
(٣) المستشرقون والإسلام / لزكريا ٩٨ – ١٠٥ .
(٤) فلسفة جان بول سارتر – حبيب الشارونى ١٥٤ – ط الإسكندرية .

وإذا كانت الوجوديه تعتمد فى فلسفتها على إنكار وجود الله تعالى وعدم الإيمان بالله تعالى وبكل الغيبيات ، فإنهم يؤكدون دائما على أن فكرة الله من خلق الإنسان وأن من المتناقضات الكبرى إن يكون الله موجودا وأن يكون الإنسان حرا ، فإما هذا وإما ذاك ، وإذا كانت الوجودية المؤمنة كما هى عند هيدكجرد ، ومارسيل ، وياسرز – تجعل الإنسان موضوعاً لله ، فإن الوجودية الملحدة (وهى السائدة الآن فى عصر سارتر عند نيتشه وهيدجر) تقول : بجعل الله موضوعا للإنسان ، معنى هذا فى الواقع أن الإنسان هو وحده الوجود والإله موضوع له ، أى أن الإنسان هو الذى يخلقه " [1] .

وعلى هذا الأساس فإن الوجوديين لا يؤمنون بوجود أى شئ سوى الوجود الإنسانى ، يقول " سارتر " : أما الوجودية الملحدة التى أمثلها بنفسى ، فهى أكثر انسجاما وأكثر منطقية ، فهى تعتقد أنه إذا جاز أن تعتقد أن الله ليس موجودا فإنه من المحتم أن تعتقد على الأقل بوجود كائن موجود قبل أن يعرف فى ضمن آية فكرة مجردة أو فى وهم أى خالق ، وهذا الكائن هو الإنسان ، أو كما يريد أن يعرفه "هيدجر " الواقع الإنسانى ، فما معنى كون الوجود يسبق الجوهر أو الفكرة المجردة ، إن ذلك يعنى أن الإنسان يوجد قبل كل شئ يصادف ويظهر فى الطبيعة فى الكون ومن ثم يحدد ويعرف ثم يقول سارتر : إن الذى يستحق اسم الوجود هذه الكلمة هو وجود الإنسان فقط أما ما سواه من موجودات العالم فلا تستحق هذه الإسم وإنما يطلق عليها وصفا آخر غير الوجود كوصف الكائن مثلا ."

ومن ثم فإن الوجوديين الملحدين لا يؤمنون بالله لأنه لا يقع تحت حاسة من الحواس ، وما دام الله لا يقع تحت حواس الإنسان وبصره فهو غير موجود فى نظر الوجوديين . أما الوجود الإنسانى فهو يقع تحت الحس والبصر لذلك فهم لا يؤمنون إلا بالإنسان وقد وصلت الوجودية إلى قمتها مع سارتر الذى أعلن للعالم كله أنه لا شئ هو الإله ، لا الإله المسيحى ولا آلهة الوثنيين ، ولا آله دين من الأديان أيا كان هذا الدين فما دام الإله قد مات ، كما قال لهم " نيتشه " فيجب أن يعيش مستغنيا عن القيم

(١) انظر الوجودية المؤمنة والملحدة : د/ محمد غلاب ١٢ – ١٤ . اقرأ عدد ١٦١ دار المعارف .

التقليدية التى اختراعها الضعفاء الموسومون للتسلط على الأقوياء ، كما يجب خلق قيم جديدة ، هذا هو ما يؤكده سارتر فى مأساته أو علاقة الوجودية بالذات " [1] .

كما أن الوجوديين الملحدين لا يؤمنون بالدين ولا بالحياة الآخرة ، ذلك أن (الوجودية كما يرى (هيدجر) هى أن الحياة محدودة فى الزمان والمكان ... ويقول: لكننا سنموت ، وما سيبقى من أجسادنا بعد الموت حفنة من تراب لا تشكل ذاتا ، وهو يسير إلى عدم استمرار الحياة أو الخلود بعد الموت ، فلا بعث ولا حياة أخرى ، وهو بذلك ينكر ما بعد الموت من حساب وجزاء وجنة ونار ، وهذا إلحاد وجودى يشبه الإلحاد الدهرى ، وهناك فرق جوهرى بين الإلحاد الوجودى والإلحاد الدهرى ، إذ أن الإلحاد الدهرى فيه متعة الأمن والطمأنينة ، أما الإلحاد الوجودى فيه القلق والحيرة والغربة مثل هذا الوجود يكون فيه الإنسان غريبا) [2] .

وعلى ذلك فالوجودية فلسفة إلحادية لا تعبأ بالبناء ولا علاقة لها بالدين أو الإيمان إلا ما تدعوا إليه من الكفر وما تروجه من الفساد . ذلك أنهم يعتقدون كما يرى سارتر : " أن الله افتراض غير نافع وهو يكلفنا كثيرا فنحن نلغيه ، ! وأن هذا العالم وجد بغير داع ويمضى لغير غاية . والعالم كله خداع فى خداع . ويوجد كل موجود بدون سبب عقلى وبدون داع وتمتد حياته بواقع من الضعف ، ثم يموت بالمصادفة " .

مناقشة الوجودية فى إنكارهم لوجود الله تعالى

مما لا شك فيه أن الأدلة على وجود الله كثيرة ومتعددة ، والبراهين اليقينية القاطعة على وجود واجب الوجود أكثر من أن تحصى فكل شئ فى هذا الوجود أية ناطقة بوجود الله تعالى ووحدانيته يدركها العقل المستنير ، ويحسها الوجدان السليم ، والفطرة النقية بيسر وسهولة إلا أن أصحاب النفوس المريضة ، والعقول السقيمة ، والتفكير المنحرف ، تغيب عنهم أنوار المعرفة ، فينكرون وجوده تعالى ويتيهون فى ظلمات الإلحاد ، ويتجلى هذا الإنكار فى اعتقاد الوجوديين الملحدين الذين يزعمون أنه

(١) الفكر الفلسفى والاتجاه المعارض ص٢١٥ .

(٢) الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى / د: محمد إبراهيم الفيومى ١٢٠ /١٢٣ .

لا يوجد إله خالق يدبر الكون ليتصوره العقل ، وإنما يوجد الإنسان الذى يهتدى إلى وجود نفسه بنفسه . وللرد على افترائهم هذا نقول : لقد دل على وجوده تعالى ، الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس ، وفيما يلى بيان ذلك فنقول وبالله التوفيق ..

أولاً : لقد دل على وجوده تعالى الفطرة ، وذلك لأن كل كائن قد فطر على الإيمان بالله تعالى وهذا الدليل يقوم على اعتراف الإنسان من أعماق نفسه بأن له خالقا قادرا حكيما ، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يجد لهذا الإعتراف مصرفا ، وإن كابر بعدم الإعتراف به ظاهرا ، فإنه لا يستطيع أن يجحده باطنا لأنه اعتراف الفطرة[1] التى فطر الله الناس عليها كما فى قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). {سورة الروم /٣٠} .

وهذا الدليل هو الذى عبر عنه " ديكارت " بقوله : " إنى مع شعور بنقص فى ذاتى ، أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأرانى مضطرا إلى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذات تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال هو الله ، إن الذى علم الإنسان أن ١ + ١ = ٢ بدون دليل أو برهان ولا مقدمات منطقية ، هو الذى علمه أن له إلها لا يستغنى عنه " .

ويظهر هذا الدليل على وجود الله عز وجل فيما يعرضه القرآن الكريم ، حينما يقص خبر ركاب السفينة المشرفة على الغرق حيث تشهد الفطرة بوجود الله تعالى حينما تعصف به الرياح والأمواج العظيمة ، ويغلب على ظنه أن الهلاك واقع وأن النجاة ليست متوقعة ، فأحاط به الخوف العظيم والرعب الشديد ، فلا يطمع فى هذه الحالة إلا فى فضل الله – تعالى ورحمته ، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق، ويصير قلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا إلى الله تعالى[2] ، حيث لا يجد له ملجا إلا الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعى / د/ عبدالستار فتح الله سعيد ١٢٢ ط دار الطباعة الإسلامية ١٤٠٦ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب للإمام الرازى ٦٧/١٧ دار إحياء التراث العربى – بيروت .

تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) الأنعام / ٦٣ ، ٦٤]

وقال جل شأنه : (**هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**) [يونس /٢٢]

وقال جل جلاله : (**فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**) [العنكبوت /٦٥] . يقول الإمام فخر الدين الرازى:(والمقصود انه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا لأن الإنسان فى هذه الحالة يعظم إخلاصه، فى حضرة الله تعالى ، وهو المراد من قوله تضرعا وخفية ، فبين تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية ، فى هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله . ولا تعويل إلا على فضل الله [1].

وذلك لأن هذا الموقف يمس قلب الإنسان ويهزه من أعماقه فينتبه من غفلته ليجد قلبه متعلقا بخالقه وبارئه سبحانه وتعالى يستغيث به وحده ، ويعاهده على الطاعة والعبادة والشكر ، والاستمرار فى ذلك إذا هو فاز بنعمة النجاة[2] هذا الشعور المغروس فى النفس الإنسانية ، هو شعور فطرى ، فطر الله الناس عليه ، وهو المعبر عنه بالغريزة الدنية ، هذا الشعور قد يغفوا لسبب ما فلا يستيقظ إلا بمثير يبعث على يقظته ، وهذا النوع من الأدلة لا يستطيع أن ينكره الملحدون والماديون الذين ينكرون وجود الله بألسنتهم فتنطق فطرتهم بإثبات وجود الله ، لأنه لا دخل فيه للنظر أو التقليد إنما هو مأخوذ من أعماق النفس [3].

واسأل ملحدا : من الذى خلق الكون ؟ يقول لك الطاقة أو المادة أو الطبيعة .

(١) المصدر السابق ٢٢٣/١٢ .

(٢) روح المعانى والسبع المثانى للإمام الألوسى مج ١٧٩/٧/١٣ .

(٣) المدخل إلى التفسير الموضوعى للأستاذ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد ١٢٢ .

ثم اسأله مرة ثانية عن صفات المادة والطاقة والطبيعة تجده يخلع عليها صفات الإله من الأزلية والأبدية واللاتناهى والقدرة وتلك هى فى النهاية صفات الله سبحانه وتعالى مما يؤكد أن النفس البشرية مفطورة على معرفة الله سبحانه وتعالى .

وحينما صعد " جاجارين " رائد الفضاء الروسى الملحد إلى الفضاء وجاء من رحلته ، قابله أعضاء الحزب الشيوعى السوفيتى يقولون له " لا تقل إنك شاهدت الله " وهذا يدل على أن الوجود الإلهى مركوز فى فطرتهم ، فهم رغم الإنكار يعترفون ، لكنهم يظنونه شيئا محسوسا يمكن أن يدرك بالحس ، وراح أعضاء الحزب الشيوعى يقولون : إن جاجرين بعد أن دار حول الأرض وعاد لم يعثر على الله . وهكذا يؤكد لنا هذه الحادثة فطرية الوجود الإلهى فى النفس البشرية ، وإلا ما كان هناك داع منهم للتأكد وإعلان الإنكار مرة بعد مرة فالإنكار دليل الإثبات[1] وهذا من أعظم الأدلة على تهافت وفساد زعم الوجوديين وفى مقدمتهم سارتر الذى يقول " إن الله كان يحدثنا ثم صمت فلم يعد فى وسعنا الآن سوى أن نلمس منه إلا جثة هامدة [2].

ثانياً : إذا كان الله ليس موجودا كما يزعم الوجوديون الملحدون فمن خلق هذه الموجودات اللاتى ليس فى مقدور أى كائن من كان أن يخلقها أو أن يدرك حقيقتها ، فضلا عن أن يحيط علما بخلق الله وتقديره فى هذه الكائنات وتظهر دلائل عظمة وإبداع البارى سبحانه فى خلق العالم وتنسيقه وإتقانه ، وما فيه من آيات الله البينات الدالة على عظمته تعالى وكمال قدرته ووحدانيته .

فطلوع الشمس وغروبها فى مواقيتها بدقة ونظام عجيب يبهر الأبصار ويحير الألباب وفى ذلك من المصالح العامة التى يترتب عليها حياة كل حى فى هذا الكون ودخول الليل فى النهار ، ودخول النهار فى الليل من غير فاصل بينهما وما يترتب على ذلك من الفصول المختلفة واستحالة أن يكون هذا الكون العظيم بهذا النظام المحكم العجيب وليد الصدفة ولا تفسير مقنع إلا وجود الله الخالق المدبر الحكيم .

وقد شهد بذلك زعيم الفكر اليونانى القديم سقراط الذى أقام دليلا من أروع الأدلة على وجود البارى سبحانه وتعالى باستدلال عقلى يدور حول دلالة الأثر على

(١) العقيدة الإسلامية أ.د / سعد الدين صالح ٧٥/٧٦ .
(٢) مشكلات فلسفية / ٢٠ .

المؤثر ، وهذا الدليل يقول عنه الفيلسوف الألمانى " كانت " أنه أقوى الأدلة وأسهلها على وجود الله . ذلك أن هذا الدليل يتنوع بحسب الطابع الذى يبدو فيه ، فقد تكون دلالة الأثر على المؤثر فى صورة العناية ، وقد تكون الدلالة فى صورة : أن لكل شئ هدفا وغاية ، فيسمى الدليل دليل الغائية ، وهكذا ، ومهما تعددت صوره فهى : دلالة الأثر على المؤثر واستعمله سقراط فى مواجهة " أرسطو ديموس " وهو أرسطو الشهير – وكان منكرا لوجود الله .

فقال له سقراط : " أفى الناس من يعجبك براعته فى الصنائع ؟ فقال : نعم ، وسمى من الشعراء والمصورين ممن كان يعد أبرع من غيره .

قال سقراط أيهما عندك أرفع شانا ؟ أمن يصنع التماثيل العارية عن الحرية والعقل ؟ أم من يصور الأشباح الحية المتحركة ؟ .

فقال : من يصنع الصور الحية ، اللهم إلا إذا كانت تلك الصور من عمل المصادفة والإتفاق ، لا من عمل العقل .

قال سقراط : إذا فرضنا أشياء لا يظهر المقصود منها ، وأشياء أخرى بينت القصد والمنفعة فما قولك فى تلك الأشياء ؟ وما هى التى عندك من فعل العقل ؟ وما هى عندك من فعل الاتفاق ؟ قال : لا شك أن ما ظهر قصده ومنفعته من فعل العقل .

قال سقراط : أولست ترى أن صانع الإنسان فى أول نشأته جعل له آلات الحس ، لما فى تلك الآلات من المنفعة الظاهرة ، فأعطاه البصر والأذنين ، ليبصر ويسمع ما يكون لعيشه صادقا ، وما فائدة الروائح لو لم تكن لنا الخياشيم ؟ .

وكيف ندرك المطاعم ونفرق بين الحلو والمر لو لم يكن لنا لسان نتذوق به ؟. إن بصرنا معرض للآفات ، أولست ترى كيف اعتنت القدرة الإلهية بذلك ؟ فجعلت الأجفان كالأبواب لتمنح ما يصيب البصر ، وجعلت الأهداب كالنخايل لتقيها من أضرار الرياح ؟. وما قولك فى آلة السمع ، وهى تقبل جميع الأصوات ولا تمتلئ أبدا؟ أما رأيت الحيوانات : كيف رتبت أسنانها المقدمة وأعدت لقطع الأشياء فتلقيها إلى الأضراس فتدقها دقا ؟. فإذا تأملت فى ترتيب ذلك ، أيمكنك أن تشك هل هى من فعل الإتفاق أو من فعل العقل ؟

كلما انقطع عنه مدد السماء فى فترات متعددة ومتطاولة من الزمان ، بعد أن تنطفئ فى طريقه تلك الشموع التى تنير له الدرب : النبوات .

ولذا نراه قد عبد فى تلك الفترات ، ما ظن أنه تلك العلة والقوة ، فابتدأ الشرك أول ما ابتدأ بعبادة الأصنام والأوثان ، كان يصنعها الإنسان بيديه . وهكذا فى كل بقاع الأرض على اختلاف الحضارات وتنوعها ، تعددت صور المعبود وتزاحمت أشكاله . ففى مصر القديمة ، عبد الناس النيل ، وجعلوه الإله الأعظم ، نظرا لما يجلبه من خصب لأرضهم ، وتدمير شامل فيما لو غضب أو ثار . ولذا كانوا يقدمون له – فى سبيل دوام رضاه – القرابين البشرية فى كل عام . كما عبد البابليون آلهة عديدة ، أبرزها (أنو) ويريدون بها السماء الثابتة . وقس على ذلك كل الحضارات التى احتفظ التاريخ المكتوب لنا بشئ من أخبار عقائدها كالفرس والسومريين وغيرهم .

وقد كانت السماء دائما وعلى فترات قد تطول وقد تقصر ، تمد يدها إلى البشرية ، من خلال نبوة نبى أو رسالة رسول ، لتصحح خط سير البشرية بعد انحرافه . ومن هنا كانت سلسلة طويلة من النبوات والرسالات إلى أن ختمت بنبوة محمد[1] – ﷺ –).

إن القول بالصدفة فى خلق الكون لا يتصوره العقل ولا يقره العلم ولا يقول به إنسان يتسم بسلامة العقل ومنطق الفكر وقدرة الإدراك والتميز .

فالكون يؤكد وجود الخالق العظيم جلا جلاله ، وأن كل ما فى الكون شاهد حق على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، وعناصر الكون تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن لها خالقا خلقها ومدبراً إبداعها ، وقد شهد بذلك مشاهير العلماء يقول الفيلسوف "أنا كساغورس : " من المستحيل على قوة عمياء ، أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام ؟ الذين يتجليان فى هذا العالم ، لأن القوة العمياء لا تبلغ إلا الفوضى ، فالذى يحرك المادة هو عقل ، رشيد ، بصير ، حكيم " .

ويقول " هرشل " عالم الفلك " كلما اتسع العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية ، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون

(١) دراسات فى العقيدة الإسلامية { محمد جعفر شمس الدين } { ط الثالثة ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ دار المعارف للمطبوعات } .

والطبيعيون قد تعاونوا ، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده".

أما الدكتور :" ايرفنج وليام " أستاذ العلوم الطبيعية فى جامعة ميشيجان فيقول : (إننى أعتقد فى وجوده سبحانه وتعالى لأنى لا استطيع إن أتصور إن المصادفة وحدها تستطيع إن تفسر لنا ظهور الإلكترونات والبروتونات الأولى ، أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأولى أو البذرة أو العقل . إننى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من الظواهر فى هذا الكون التى نشاهدها) .

ويقول الدكتور " وين اولت " أما النظريات التى ترمى إلى تفسير الكون تفسيرا آليا فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ثم ترجع ما حدث من الظواهر للنشأة الأولى إلى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد إكمال الصورة والبعد بها عن التشويه ، ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة ، نجد أن فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك أن ذلك النظام البديع الذى يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تتخبط تخبطاًعشوائياً " .

ومن هنا فإن القول بالصدفة لا يقوم على أى دليل علمى مقبول ولا يقبله أى عقل سليم ولهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المشككين بأسلوب إقناعى يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ " إبراهيم : ١٠ " .

ويلفت القرآن النظر إلى الحكمة المتمثلة فى خلق المخلوق والتى تدل على خالق فى نهاية العلم والحكمة ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ** ﴾ وجاء فى القرآن فى وصف

كلما انقطع عنه مدد السماء فى فترات متعددة ومتطاولة من الزمان ، بعد أن تنطفئ فى طريقه تلك الشموع التى تنير له الدرب : النبوات .

ولذا نراه قد عبد فى تلك الفترات ، ما ظن أنه تلك العلة والقوة ، فابتدأ الشرك أول ما ابتدأ بعبادة الأصنام والأوثان ، كان يصنعها الإنسان بيديه . وهكذا فى كل بقاع الأرض على اختلاف الحضارات وتنوعها ، تعددت صور المعبود وتزاحمت أشكاله . ففى مصر القديمة ، عبد الناس النيل ، وجعلوه الإله الأعظم ، نظرا لما يجلبه من خصب لأرضهم ، وتدمير شامل فيما لو غضب أو ثار . ولذا كانوا يقدمون له – فى سبيل دوام رضاه – القرابين البشرية فى كل عام . كما عبد البابليون آلهة عديدة ، أبرزها (أنو) ويريدون بها السماء الثابتة . وقس على ذلك كل الحضارات التى احتفظ التاريخ المكتوب لنا بشئ من أخبار عقائدها كالفرس والسومريين وغيرهم .

وقد كانت السماء دائما وعلى فترات قد تطول وقد تقصر ، تمد يدها إلى البشرية ، من خلال نبوة نبى أو رسالة رسول ، لتصحح خط سير البشرية بعد انحرافه . ومن هنا كانت سلسلة طويلة من النبوات والرسالات إلى أن ختمت بنبوة محمد[1] – ﷺ –).

إن القول بالصدفة فى خلق الكون لا يتصوره العقل ولا يقره العلم ولا يقول به إنسان يتسم بسلامة العقل ومنطق الفكر وقدرة الإدراك والتميز .

فالكون يؤكد وجود الخالق العظيم جلا جلاله ، وأن كل ما فى الكون شاهد حق على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، وعناصر الكون تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن لها خالقا خلقها ومدبراً إبداعها ، وقد شهد بذلك مشاهير العلماء يقول الفيلسوف "أنا كساغورس : " من المستحيل على قوة عمياء ، أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام ؟ الذين يتجليان فى هذا العالم ، لأن القوة العمياء لا تبلغ إلا الفوضى ، فالذى يحرك المادة هو عقل ، رشيد ، بصير ، حكيم " .

ويقول " هرشل " عالم الفلك " كلما اتسع العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية ، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون

(١) دراسات فى العقيدة الإسلامية { محمد جعفر شمس الدين } { ط الثالثة ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ دار المعارف للمطبوعات } .

والطبيعيون قد تعاونوا ، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده".

أما الدكتور :" ايرفنج وليام " أستاذ العلوم الطبيعية فى جامعة ميشيجان فيقول : (إننى أعتقد فى وجوده سبحانه وتعالى لأنى لا استطيع إن أتصور إن المصادفة وحدها تستطيع إن تفسر لنا ظهور الإلكترونات والبروتونات الأولى ، أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأولى أو البذرة أو العقل . إننى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من الظواهر فى هذا الكون التى نشاهدها) .

ويقول الدكتور " وين اولت " أما النظريات التى ترمى إلى تفسير الكون تفسيرا آليا فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ثم ترجع ما حدث من الظواهر للنشأة الأولى إلى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد إكمال الصورة والبعد بها عن التشويه ، ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة ، نجد أن فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك أن ذلك النظام البديع الذى يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تتخبط تخبطاًعشوائياً " .

ومن هنا فإن القول بالصدفة لا يقوم على أى دليل علمى مقبول ولا يقبله أى عقل سليم ولهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المشككين بأسلوب إقناعى يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ " إبراهيم : ١٠ " .

ويلفت القرآن النظر إلى الحكمة المتمثلة فى خلق المخلوق والتى تدل على خالق فى نهاية العلم والحكمة ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ** ﴾ وجاء فى القرآن فى وصف

الله ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة وإتقان صنع (١)"

خامساً : وأما تركيز الوجوديين ، على تفاعلات الإنسان وخلقه لوجوده الشخصى معلنين أن الإنسان سيد مصيره وخالق ذاته باختياره الحر دون تقييد بقيم أو مبادئ أو دين أو حتى مقاييس ثابتة ، لكنهم لم يقدموا تفسيرا واحدا عن كيفية بدء الإنسان ، كما أنهم زعموا أن الإنسان يخلق وجوده ، وربطوا بين الوعى والوجود ، وقد وقعوا فى مأزق خطير ذلك إن الإنسان لم يوجد واعيا لكنه وجد طفلا صغيرا لا وعى له فما علاقة الوعى بالخلق ؟ وكيف بدأ الإنسان ؟.

أسئلة حائرة دون أدنى إجابة من القائلين بالمصادفة ، إن القول بالتدبير الذاتى للكون وما يترتب عليه من إلحاد يرجع فى كثير من الأحيان – ولا سيما بين الوجوديين – إلى جو النشأة والتربية ومن ذلك مثلا ما يتصل بسارتر ، فموقف سارتر من الدين ورفضه للإيمان بالله لأن فكرة الله حسب زعمه متناقضة بل وممتنعة على الرغم من أنها أخذت قيمة فى حياة الناس إلا أنها قيمة كاذبة لما تقوم عليه من عبث وخداع ومن ثم فإن الإنسان يفقد قيمته ويتجرد من سيادته من أجل لا شئ فى موقفه هذا ولم يعتمد سارتر على دليل عقلى ، أو برهان منطقى وإنما كان نتيجة عكسية لتربيته الدينية الثنائية البروتستانتية الكاثوليكية والتى اعترف " سارتر " صراحة أنها كانت السبب الحقيقى فى إلحاده.

وأما قولهم : إن الموجود كعلة لذاته ، ينبغى أن يكون موجودا كعلة قبل أن يكون موجودا كمعلول ، وفى هذه الحالة يبقى تعليل وجوده كعلة (٢).

فالحقيقة إن هذا الكلام ينطبق على المخلوق أو المعلول ، ولا ينطبق على الخالق لأنه ليس معلولا ، ووجوده لا يشبه المعلول لعلته وليس موجودا تارة كعلة وتارة كمعلول حتى يلزم عليه تقدمه على نفسه كعلة وتأخره على نفسه كمعلول ، ولو كان وجوده على طريقة العلة والمعلول لأشبه وجوده وجود المخلوقات ، ولما كانت

(١) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين د/ صالح بن إبراهيم البليهى (٢) انظر قضية العناية والمصادفة د/ سارة بنت عبدالمحسن ٥٨٤ .

(٢) المصدر السابق ٩٣ .

هناك ميزة له عليها ، ولو أشبه وجودها وجوده لما كان هناك مبررا لأنه يكون خالقا لها لأنه حينئذ سيكون كواحد منها (١).

سادساً : وأما استدلال الوجوديين الملحدين على عدم وجود الله بأنه لا يوجد لدى الله أى حل لأى مشكلة من مشاكل الوجود ، فنقول لهم : هذا فى زعمكم كما تراه عقولكم السقيمة وأفكاركم المريضة وتصوره لكم أوهامكم التى لا تستند إلى أى دليل .

أما نحن المسلمون فلا توجد لدينا أى مشكلة من مشاكل الوجود إلا وقد جعل الله لها حلا كاملا يتسم بالواقعية وذلك من خلال ما جاء فى القرآن الكريم الذى حوى ما به صلاح العالمين ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود : من الآية ١ " وسنة النبى الكريم – ﷺ – ففى هذين المصدرين حل لكل ما يحدث للإنسان فى هذه الحياة سواء أكانت المشكلة تتعلق بالتعامل مع الأعداء أو تتعلق بتربية الأفراد والجماعات أو تتعلق بالقضاء على الجهل والفقر والتخلف ، أو التقدم العلمى ، أو مشكلة تطهير البلاد من اللصوص والمجرمين الذين يسعون فى الأرض فسادا ، أو مشكلة تتعلق بآفة من آفات النفس الإنسانية من هموم وأحزان ويأس وقنوط إلى غير ذلك مما يتعرض له الإنسان فى سيره فى تلك الحياة الدنيا .

سابعاً : إن الوجوديين الملحدين لم يستطيعوا أن يثبتوا من ناحية العقل ولا من ناحية العلم أى دليل يمكن الاستناد إليه فى إنكارهم لوجود البارى تعالى ، وكل ما ذكره الوجوديون الملحدون ما هو إلا وهم لا يستند إلى منطق سليم ولا علم مكين .

فمن المسلمات العقلية التى يتفق عليها الناس أجمعين إن من ادعى دعوة ولم يقم أى دليل عليها فدعواه باطلة والوجوديون لم يقيموا دليلا واحدا على صواب إلحادهم بينما ادلة وجود الله تعالى لا تعد ولا تحصى . وقد أورد العلماء العديد من الأدلة منها :

يقول : هرشل العالم الفلكى الإنجليزى " كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية " ،

(١) الإسلام والتيارات المعاصرة أ.د / عبدالمعطى بيومى ٤٢ – ٤٣ .

فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا ، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده[١] .

أما دليل الشرع :

فالحق إن من يستقرى ما بينه الله تعالى فى القرآن الكريم من دلائل وجوده سبحانه وتعالى نجد أنه قد سلك المنهج الفطرى فى إقامة البراهين المتعددة على وجود الله تعالى ووحدانيته على اختلاف عقول الناس ، وتفاوت مداركهم مخاطبا الفطرة الإنسانية ، وهى تلك الأدلة التى تنتزع من أعماق الإنسان اعترافا بوجود الخالق سبحانه وتعالى . كما سبق بيان ذلك .

ومن يحلق بفكره الواسع فى آفاق الكون كما دعا القرآن يستخرج منه الأدلة على وجود الله تعالى عن طريق النظر والتفكر والتأمل فى خلق السماوات والأرض ، والإنسان والحيوان ، وتدبر دقائق الخلق وغير ذلك مما فى الكون من آيات ودلائل تشير إلى أن هذا النظام الدقيق بين الأجرام السماوية ، هو البرهان الضرورى على وجود مولانا عز وجل وجودا ذاتيا لا يقبل الانتفاء . فالعوالم الأرضية ، لا يمكن أن تكون نتيجة المصادفة – كما يتوهم الوجوديون الملحدون – وليس له تفسير إلا وجود الخالق المدبر القادر الحكيم . واجب الوجود وهو الله جل جلاله . عالم الغيب والشهادة . الخالق البارئ المصور المنعم المتفضل واجب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى غير محتاج إلى علة وأنه هو العلة لوجود الممكنات ، وان جميع الموجودات معلولة ومحتاجة إليه وهو العلة الأولى لوجودها وحدوثها فقد كان الله ولا شئ معه ثم أراد وجود هذا الكون. وإذا أراد الله وجود شئ قال له كن فيكون . ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ ." النحل الآية ٤٠ "

بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وقد خلق الله الأرض ، ثم خلق الإنسان ، وجعله خليفته فيها . وأبان له الغاية والهدف من خلقه ، هذا الهدف الذى ينحصر فى معرفة الخالق ، وطاعته والانتظام على هذا الطريق دون تنكب أو انحراف . " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " . ومن حكمة الله – وهو أحكم

(١) دائرة معارف وجدى مادة ٥٠٣/١ .

الحاكمين – أن يمد الإنسان بما يساعده على تحقيق الغاية التى خلقه من أجلها . وهى معرفته وعبادته ، والانتظام فى سلك طاعته .

ومن هنا فقد أمد الله الإنسان بالعقل ، أداة فهم وآلة معرفة ، والعقل وحده لا يستطيع العمل فى فراغ ، دون شاهد أو دليل ، ولذا فلقد بث الله دلائل وجوده ، وشواهد عظمته وقدرته ، فى كل نواحى الوجود ، ومناحى الحياة دلائل فى السماوات وفى الأرض ، وفى النفس . والوجود كله ، شاهد حق ، ودليل صدق على وجود الله – واجب الوجود – جل جلاله . ينطق بكل لسان . ويفهم بأوضح بيان . تأخذ بيد العقل إلى العلم بالله : فالسماء وأفلاكها ... والأرض وما عليها وسكانها ... والبحار وعوالمها ... والليل والنهار ... والشمس والقمر ... كل هذه نصبها الله شواهد على وجوده ، ودلائل على عظمته وقدرته . وكل هذه نصبها الله مجالات يعمل فيها العقل لينتج منها معرفته بربه وخالقه : الله – واجب الوجود – جل جلاله [١].

إن هؤلاء الوجوديين الملحدين قد جهلوا الأسباب والمعانى فى الخلقة ، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ البارى جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه فى البر والبحر والسهل والوعر ، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعناد حتى أنكروا خلق الأشياء وادعوا أن كونها بالإهمال ، لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون .

فهم فى ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه ، وفرشت بأحسن الفراش وأفخره ، وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربه والملابس والمآرب التى يحتاج إليها ولا يستغنى عنها ووضع كل شئ من ذلك فى موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير ، فجعلوا يتردون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها أدبارا وإقبالا ، محجوبة أبصارهم عنها ، لا يبصرون بنية الدار ، وما أعد فيها ..... فإنه لما غربت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل فى

(١) انظر : حاجة البشر إلى الدين : د/ محمود مزوعة ٢٩٨ – ٢٩٩ .

الأشياء ، صاروا يجولون فى هذا العالم حيارى ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته ، فيسرح إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ »[1].

لذلك أرشد القرآن العظيم إلى الاستدلال على وجوده تعالى وذلك عن طريق العقل السليم والمنطق الرصين من جهة التأمل فى الموجودات لمعرفة انها حادثة ومحتاجة إلى موجد يوجدها ، فإن الإنسان لم يخلق أولاده ، ولم يخلق الأرض التى يدرج فوقها ولا السماء التى يعيش تحتها . ومن المقطوع به ، أن شيئا لا يحدث من تلقاء نفسه ، فلم يبق إلا الله .

وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل فى قوله تعالى : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ وكما يلفت أنظار الإنسان البسيط الذى لا يملك قوة من العقل والإفهام ، إلى مظاهر الإبداع الساذج الذى يحيون فيه فى قوله تعالى :﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ** ﴾ .

ولقد جمع القرآن المجيد بين الدليل العقلى وبين النظر العلمى كما فى قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ الرعد : ٢-٤ ويقول تعالى : ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ الذاريات : ٢١ والنظر فى النفس له جانبان :

(١) من آمالى الإمام الصادق ، للمفضل الجعفى ، للشيخ محمد الخليلى ، ١/٤١ – ٤٤ وتوحيد المفضل ٥ .

الجانب الأول : جانب مادى . ويتمثل فى المادة التى خلق منها الإنسان . يقول تعالى :﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ سورة الطارق ٥-٩ .

ويتمثل كذلك فى مراحل تكوين الإنسان . قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ المؤمنون : ١٢-١٤ ويتمثل كذلك فى الموت والبعث . يقول تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ المؤمنون : ١٥-١٦ .

ولقد جمع الله شأن الإنسان فى بدايته ونهايته وبعثه فى الآية الكريمة : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ طه : ٥٥ . وهذا هو شأن الجانب المادى من النفس الإنسانية .

أما الجانب المعنوى : فيتمثل فى جوانب النفس التى لا دخل للمادة فيها . فالنفس فيها جوانب معنوية كثيرة ، تدعوا إلى التفكير والتدبر : كيف يعقل الإنسان ؟ كيف يفكر ؟ . كيف يهتدى ؟ كيف يضل ؟ كيف يذكر ؟ وكيف ينسى ؟ وبم يذكر ؟ وبم ينسى ؟ أب العقل ؟ وما هو العقل ؟ وكيف يعمل ؟ وما قوانين عمله ؟ هذه كلها ، وكثير غيرها أسئلة عن جوانب فى النفس غير مادية . لا يعرف الإنسان جوابا عنها .

والجواب الوحيد أنها صنع الله . الذى أتقن كل شئ . ولا يعلم الصنعة إلا صانعها [1]. يقول تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ الملك : ٢٣ . ويقول تعالى فى الإنسان : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ سورة الإنسان :٣ إلى غير ذلك من الآيات التى تلفت النظر ، وترشد العقول السليمة إلى الاستدلال بالأثر على المؤثر ، وبالخلق على الخالق ، والصنعة على الصانع ، والمنشئ لهذا الكون وما فيه من عناية وإتقان وإبداع تشهد بوجود الخالق سبحانه وتعالى .

(١) حاجة البشرية إلى الدين / ٢٩٩ وما بعدها .

ثانيا : المبدأ الأساسى للوجودية

(الوجودية والماهية)

ترتكز الفلسفة الوجودية على قضية أساسية هى قولهم إن الوجود مقدم على الماهية ، فما معنى كون الوجود سابق على الماهية ، إن ذلك يعنى أن الوجود الحقيقى هو وجود الأفراد أما النوع فهو اسم لا وجود له فى الخارج ، فمثلا زيد ، وأحمد ، وخالد ، ومحمد وعمر وآلاء ، ومحمود . هؤلاء موجودون حقيقيون لا شك فى وجودهم ، ولكن الإنسان أو النوع الإنسانى كلمة لا حقيقة لها فى الخارج ، كما يزعمون وهم يهدفون من وراء هذه الفلسفة إلى أن على الفرد أن يحقق وجوده بتحقيق رغباته وشهواته غير مبال بمصير النوع الإنسانى فى كله إلى الفناء "(١).

فالإنسان كما تتصوره الوجودية ليس له فى البدء أى وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده ، فالوجودية بالمعنى العام – كما يرى " كير كجور " – هى إبراز قيمة الوجود الفردى ، وذلك بأن يهتدى " الإنسان إلى وجود نفسه ، وأن يكون مستقلا بنفسه عن الآخرين ، وان يسبر غور وجوده ، وإذا كان الإنسان مجموعة من المتناقضات فإن الوجود كما يزعم مطالبة باستجماع نقائضه مع وحدة شاملة تمضى به إلى اتجاه متناسق لا تنازع فيه ، وأن يكون بهذه المثابة شيئا لا يتكرر ولا يتعدد ، والطرق ، فى هذا عند " كير كجور " للوصول لهذه الغاية هو الصدمة العاطفية القوية أو يقظة الضمير أو بضربة من ضربات التجارب (٢).

ويرى الوجوديون أن وجود الفرد يتحقق بمواجهته للمخاوف والأخطار والتعرض للقلق ، والمحنة واستخراج كل قوى فى أعماق الاختيار النفسى بتجربته الخوف والتعرض للقلق والمحنة والتغلب عليه وقبول لإختيار الأقدار (٣).

ومن هنا فالوجودية ترى أن الوجود سابق على الماهية ، وذلك لاعتقادهم أنه لا يوجد إله يتصور الإنسان ثم يخلقه على وفق تصوره ، وإنما يوجد الإنسان أولا ثم تحدد صفاته وشخصياته تبعيا لما يريده هو . إذ أن الوجوديون الملحدون يؤمنون إيمانا

---

(١) الموجز فى الأديان والمذاهب : د/ ناصر عبدالله الغفارى وآخرون ١١٦ .

(٢) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ٢٠٩ .

(٣) المصدر السابق .

مطلقا بالوجود الإنسانى ويتخذونه منطلقا لكل فكرة ، ويعتقدون أن الإنسان أقدم شئ فى الوجود ، وما قبله كان عدما وأن وجود الإنسان سابق لماهيته (١).

فالوجودية لهذا منسوبة إلى الوجود لا بمعنى مطلق الوجود ، لأن الحجر موجود ، والشجرة موجودة ، والحيوان موجود . وقد تكون كلها موجودة بالنسبة إلى غيرها ؛ لأن غيرها هو الذى يحس وجودها ويعرف لها صفة الموجودات . والإنسان كذلك ، وإن كان مخلوقا حيا عاقلا ، قد يكون موجودا أيضا بالنسبة إلى غيره لا بالنسبة إلى نفسه ، ويكون حكمه فى وجوده كحكم الحجر والشجرة فى الحيوان ، أو قريبا منها فى مجمل الفرض والتقدير .

فهل الوجودية إذا منسوبة إلى الحياة ؟! لا ، ليس هذا هو المقصود بالمعنى الفلسفى لهذه الكلمة ، لأن الإنسان يكون فى الحياة من مولده إلى مماته ، ولا يخرج منها فى خلال ذلك ولو ذهب فى النوم أو غاب عن وعيه !.

فالوجودية إذا لا تعنى مطلق الوجود ، ولا مطلق الحياة ! ولكنها – كما يقول العقاد – تعنى : أن يهتدى الإنسان إلى وجوده بنفسه ، وأن يكون موجودا بالنسبة إلى نفسه .... وأن يكون بهذه المثابة شيئا لا يتكرر ولا يتعدد ، لأن الناس – من حيث هم موجودات – خلائق متشابهة يجوز فيها التعدد والتكرار . ولكن الإنسان الذى اجتمع بنفسه وسبر غورها وعمل فى الحياة بكل قوة من قواها شئ واحد لا تعدد له ولا تكرار لكيانه ... " .

والشئ الجوهرى هنا يمكن فى كيفية الاهتداء إلى هذا الوجود لنعرف به أنفسنا ونعرف به – من ثم – مدى العلاقة بين وجودنا هذا وبين هذا الوجود العظيم المحيط بكل كائن من هذه الكائنات ! فالإنسان كما تتصوره الوجودية ليس له فى البدء أى وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده .

هنا يكون سقوط الوجودية المروع الذى يذكرنا مرة أخرى بظروف نشأتها الأوروبية وبظروف مفكريها وزعمائها فى الوقت نفسه . هذا الوجود لا نهتدى إليه – عندهم – لا فى التحليل النفسى والمراقبة الباطنية ... ولا نعرفه بهدى الأخلاق

---

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة /٥٤٤ .

والعادات وأصول الآداب المتعارف عليها المتواضع عليها ... ولا فى حقائق الأديان وتاريخ الإنسان !! – ولهذا كانت الوجودية دعوة حقيقية ، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة ، ضد المسيحية الغربية ، وحربا سافرة على الأديان – وإنما نهتدى إلى هذا الوجود بثورة فى أعماق هذا الوجود ..... نهتدى إليه بصدمة عاطفية قوية ... أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا عن المجتمع الذى نعيش فيه أو نتناول مكاننا فيه بالتحويل والتبديل . نهتدى إليه بمحنة تردنا إلى أغوار حياتنا ، وتطيل بحثنا فى سراديبها وزواياها ... الخ . قالوا : ومتى أدركنا هذه الآونة أو هذه المرحلة وجب علينا أن نعقد اختيارنا ولا نتردد .. كما لم يتردد كيركجارد !! عندما كتب كتابه (إما.. أو) !! [١].

ومن هنا فالوجودية " ترى أن بوسع الإنسان أن يجد معرفة فى علامة على الأرض تهديه السبيل لأنها ترى أن الإنسان يفسر الأشياء بنفسه كما يشاء وأنه محكوم عليه فى كل لحظة أن يخترع الإنسان . فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه وما يرد نفسه وما يتوار بعد الوجود[٢] . فالوجودية بهذا تعتقد كما يقول سارتر " أن الإنسان يوجد قبل كل شئ يصادف ويظهر فى الطبيعة والكون ، ومن ثم يحدد ويعرف [٣].

وما دام الإنسان أوجد نفسه فلا يكون الوجود إلا بالجسم واللذة لا تكون إلا فيما يبدأ بعد ذلك الانبعاث الخارجى لتحقيق الاتجاهات الوجودية فأنا لا أدرى معنى لوجوده كما يظن دريكارت باعتبارى فكرا محضا بل اعتبارى متجسدا فى بدن هو نواة كل موقف لوجودى ، ومعنى هذا أننى لا أملك إن أفصل شعورا بذاتى عن غير إحساس بجسمى وإدراكى للعالم الخارجى ، وحينما اقول عن شئ ما أنه موجود فإننى أعنى بذلك إن هذا الشئ قابل للاتصال بجسمى والتأثير عليه سواء اكان ذلك بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة [٤].

---

(١) مبادئ الوجودية : أ.د/ عدنان زرزور ٦٠-٦١ .
(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة – يوسف كرم ٤٥٧ .
(٣) الوجودية مذهب إنسانى – سارتر ٣٧ ترجمة عبدالمنعم الحنفى ط ١٩٧٧ م .
(٤) دراسات فى الفلسفة المعاصرة أ.د/ ذكريا إبراهيم ٤٢٩ .

ثالثا : طريقة الوجودى لمعرفة الوجود :

الإنسان يصنع نفسه بنفسه :

ولنا أن نتساءل ، إذا كان الوجوديون يرون أن الإنسان يصنع نفسه بنفسه ، ويحقق وجوده بذاته ، فكيف يهتدى إلى وجود نفسه ؟ وكيف يدرك أنه موجود ؟.

والجواب عن ذلك هل يدرك وجوده هذا بحواسه الظاهرة ؟ كلا ! لأن الوجوديين يتهمون الحواس ويعرفون ما تتميز به من خداع وزيف ، ولأن الإنسان ليس واحدا من أشياء العالم أو موضوعا من موضوعاته .

فهو إذا يدركه بالبرهان العقلى والوعى الفكرى ؟ كلا ! ولا ذاك أيضا ، فالمعرفة والحقيقة عند الوجوديين لا يلتقيان ، والفكر المجرد ضدان لا يجتمعان ، والحقيقة عندهم ليست موضوعية وإنما هى أمر نسبى شخصى على حد تقرير كيركجورد لها .... .

إذا يدرك الإنسان وجوده بالتحليل النفسى والمراقبة الباطنية خصوصا وأن محور هذا الوجود هو انكفاء الإنسان على نفسه والغوص فى أعماق ذاته ، وسبر غور وجدانه واستجماع نقائص هذه النفس ليسير بها فى وحدة متناسقة إلى اتجاه لا تنازع فيه .

بحيث يكون على هذا النحو شيئا لا يتكرر ولا يتشابه ما دام الأمر كذلك فسبيله إلى إدراك وجوده هو التحليل النفسى والمراقبة الباطنية .

لكن الوجوديين هذه المرة أيضا يجيبون بالسلب وتبريرهم إن التحليل النفسى يفترض انقساما فى النفس بين قوتين . القوة المتخيلة والقوة التى تخضع للتحليل .

ومعناه كما سبقت الإشارة إليه إن تكون الذات موضوعا للتحليل أو المعرفة كغيرها من موضوعات العلم وأشيائه ، وذلك أمر مرفوض .

فلندع مع الوجوديين كل ذلك ولنبحث عن وسيلة مغايرة لكل ما تقدم من الوسائل التى لم تصلح لإدراك الإنسان وجوده ووعيه بذاته ولعلها هذه المرة هى الأخلاق المقررة ، والآداب المتواضع عليها أو الأديان السماوية وما لها من خاصية التوجيه والهداية ، ولا يقل رفض الوجوديين لهذا الحل عن رفضهم للحلول السابقة مبررين هذا الرفض بأن هذه أمور قبلية نشأت قبل نشوء الأفراد أو جاءت لتسيطر

على الجماعات ، فضلا عن أنها لم تنبعث من أعماق الفرد فى دخيلة وجوده التى ينطوى عليها دون غيره .

إذا ما دام السؤال واردا – كيف يعى الإنسان وجوده ويهتدى إلى أنه موجود ؟ وخلاصة جوابهم أننا إنما ندرك وجودنا أو نهتدى إليه بثورة فى أعماق هذا الوجود ، نهتدى إليه بصدمة فى عاطفة قوية ، وأ بيقظة من يقظات الضمير أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا عن المجتمع الذى نعيش فيه أو نتناول مكاننا منه بالتحويل والتبديل . نهتدى إليه بمحنة تردنا إلى أغوار حياتنا وتطيل بحثنا فى سراديبها وزواياها ، وتضع أيدينا على ميزان شعورنا وتكفيرنا وخيالنا ، فنعرف كم نزن فى كل هذا ، وماذا نستطيع وماذا لا نستطيع ، وماذا نقف عنده فلا نحاول الاستطاعة فيه، ومتى أدركنا هذه الآونة وجب علينا أن نعقد اختيارنا ولا نتردد فى مفترق الطريق بين نهجين حائرين إلى غير التقاء .

فشعور الوجودى بوجوده وإدراكه لذاته إنما يتم ويكون على هذا النحو بكل ما يفصله عن الواقع الذى يعيش فيه ، سواء أكان ذلك ثورة تتبع من أعماقه ، أو صدمة ترده فى الفتاة التى أحبها وغدرت به وقرر أن يختار نفسه بدلا من هذا الحب الزائف الذى لا جدوى منه . وهم حينما يردون أن يبرزوا ذلك يذكرونك بأن الوجود الحقيقى هو الوجود الذاتى الممكن الذى يكون على صورة إمكانيات لم يتحقق شئ منها فى الواقع الخارجى . وذلك لأن هذا الوجود تكون الصلة فيه بالذات ونفسهما بحيث تكون الذات وحيدة مع نفسها فى صفاتها وبكارتها (١).

إن هذه الاتجاهات لا يرتضيها أقطاب الوجودية فى التعرف على الوجود الفردى عند الإنسان ، وإن كان هناك طريق يرتضيه " كير كجور " للوصول إلى هذا السبيل وذلك عن طريق الصدمة .

وإذا كانت هذه هى وجهة نظر " كير كجرد : فإن أبو الوجودية الحديثة " سارتر " نراه يقول : إن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا عن طريق إطلاق العنان لرغباته وشهواته ، بحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يريد ، ولا يبالى العرف أو الدين .

(١) انظر : أفيون الشعوب / عباس محمود العقاد ٩٧ – ٩٩ – نقلا عن تيارات معاصرة د/ حسن محرم ٤٥ – ٤٧ .

وعند " كاموس " يتحقق وجود الفرد بمواجهة المخاوف والأخطار والتعرض للقلق والمحنة ، واستخراج كل قوة فى أعماق النفس بتجربة الخوف والتعرض للقلق والمحنة .

وعند آخر من الوجوديين يتحقق وجود الفرد إذا اتصل بالوجود الأعظم وجود الإله أو وجود الكون ، أو وجود إنكار ما فى عرف البوهميين (١).

والواقع أن الطريقة التى يقرر بها الفرد وجوده تعتبر مفرق الطريق بين المذاهب الوجودية الكثيرة ، وهى التى تحدد مبدأ الخلاف بين الوجوديين أنفسهم حتى كان بينهم المؤمن والملحد ، واليهودى والنصرانى ... والناسك الهندى ... وإن كانت قد انتهت أو غلب عليها فى ابرز صورها أنها فلسفة عدمية وأنها فلسفة انحلال .. كما سنبين بعد قليل ...

ونحب أن نؤكد مرة أخرى إن الوجوديين لا يجمعهم على هذا التفرق بين العقائد والمذاهب والآراء – وليس بينهم من ربط يسوغ وضعهم تحت عنوان واحد إلا أنهم يؤمنون بأن " الوجود مقدم على الماهية " أى أن الوجود الحقيقى إنما هو وجود الأفراد وأما النوع كله فليس سوى اسم من الأسماء لا وجود له فى الخارج ، والفرق بين الأفراد والنوع كالفرد بين " زيد وعمر " وبين " الإنسان " .

فزيد وعمر ... وخالد وبكر لهم وجود حقيقى ، ولكن الإنسان أو النوع الإنسانى كلمة لا حقيقة لها فى الخارج ، ولا يراد بها إلا تقريب التصور والإدراك .

قالوا : وما دام الأمر كذلك .. وما دام الفرد هو الحقيقة الموجودة فمن الظلم أن نضحى به فى سبيل الكلمة الوهمية أو الصور الخيالية التى تجرى على اللسان ولا تظهر للعيان !! وإذا كان الفرد هو الموجود فمن حقه – إذا أن يقرر وجوده أو أن يثبت وجوده قبل كل شئ .

وليدع كلمة الإنسان موزعة بين الجميع تصدق على هذا كما تصدق على ذاك ولا أثر لها فى تحقيق الوجود أو إبطال الوجود .

(١) مذاهب معاصرة د/ عبدالرحمن عميرة .

قلنا : وترك كلمة الإنسان تعنى ترك المجتمع والأخلاق والآداب والديانات ، إلا إذا رأى الوجودى أن شيئا منها يعنيه فى تحقيق وجوده الشخصى أو الفردى لا النوعى فإنه يأخذه ويختاره لتحقيق هذا الوجود .

ونظرا لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع الوجودية إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار ، ذلك أن المبدأ الذى تقوم عليه الوجودية هو الوجود يسبق الجوهر " بمعنى أن الفرد ليس له طبيعة مفروضة بل عليه أن يقرر شخصيته بنفسه .

الرد والمناقشة :

أولاً : بنظرة موضوعية لهذه القضية التى يركز عليها الفكر الوجودى أبين بادئ ذى بدء أن كلمة الوجودية من الخطأ أن نتصورها سابقة على الماهية خطأ فى العقل والمنطق وخطأ فى القياس والاستدلال ، فوجود النوع الإنسانى أولا وجود حقيقى صادق فى الحس كصدق وجود الفرد أو أصدق لأن وجود النوع الإنسانى حقيقة بيولوجية من حقائق اللحم والدم وليس فرضا من فروض التصور فى الأذهان ، ولا يتم كيان الفرد نفسه إلا إذا أنضجت منه الوظائف النوعية التى يتحقق بها وجوده كما يتحقق بها النوع " [1].

ثانيا : إبطال إن الإنسان هو موجد نفسه :

مما سبق يتبين لنا أن جميع الموجودات لا بد لها من موجد خارج عن ذاتها .

والحق فيما نرى – أن ذلك لا يحتاج إلى دليل على إن ذلك الموجد غيره ، فإن قولنا : أن الإنسان أوجد نفسه تعنى أنه وجد من غير موجد ، وذلك عين ما قام الدليل على بطلانه .

والدليل على أن الإنسان لم يوجد نفسه ، بل أوجده غيره أنه لو كان قادرا على أن يوجد نفسه ، لكان قادرا على أن يوجد غيره ، لكن التالى باطل ، فبطل ما أدى إليه وهو قدرة الإنسان إيجاد نفسه ، وثبت نقيضه ، وهو عجز الإنسان عن إيجاد نفسه ، فثبت أن موجده غيره وهو الله – سبحانه وتعالى – ، ودليل الملازمة أن غيره

(١) انظر : المخاطر التى تواجه الشباب المسلم وكيف يتوقاها د/ مصطفى حلمى ١٣٧ – ط دار الأنصار ١٩٧٧ – والوجودية مذهب إنسانى جان بول سارتر / ١٠٦.

مماثل له ، والقدرة على أحد المتماثلين قدرة على الآخر ، لا سيما وأن إيجاد الغير أهون .

وأما دليل بطلان التالى ، فإن كل إنسان يدرك من نفسه العجز عن إيجاد غيره وإخراجه من حيز العدم إلى حيز الوجود .

وأما كون إيجاد الغير أهون ، فلأن إيجاد الإنسان نفسه يلزم منه أن يكون فاعلا ومفعولا فى آن واحد ، وذلك يترتب عليه أن يكون قبل ذاته باعتباره فاعلا ، وبعد ذاته باعتباره مفعولا ، وذلك محال لأنه جمع بين متنافيين أو متناقضين [1].

ولماذا نذهب بعيدا ؟ والإنسان نفسه عالم عجيب ولو تأمل كل إنسان ما فى نفسه من أجهزة وقوى وطاقات تعمل كلها على وفق نظام دقيق ، بل لو تأمل الإنسان الروح التى تسكن داخله ولا يدرى هو ولا يدرى العلم معه اين هى ، ولكنها سر الحياة لعلم بأن الخالق موجود وهو الله عز وجل (**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات ٢١.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الإسراء/٨٥ [2] .

وهنا تظهر عظمة البارى سبحانه وتعالى " حين جعل الروح من أمره هو لأنها أنصع دلالة وأكبر شهادة عليه تعالى ، ففى باطن الإنسان توجد تلك اللطيفة الشفافة التى يقطع الإنسان بوجودها فى الوقت الذى يقطع فيه بعجزه عن إدراك حقيقتها .

فإذا عجز الإنسان عن إدراك كنه ذاته وحقيقتها مع تأكده وجزمه بوجودها ، وهى المخلوقة المصنوعة فعجزه عن إدراك صانعها وحقيقته مع قطعه بوجوده أشد وضوحا وأكثر جلاء .

وإذا كان الوجوديون يرون أن الإنسان هو الذى أوجد نفسه بنفسه ، فلنا أن نتساءل : لماذا لم يوجد نفسه من قبل ذلك الوقت الذى أوجد نفسه فيه ؟ ولماذا لم

(١) انظر : مذكرات فى المنهج الاستدلالى فى القرآن الكريم أ.د / مزروعة ٢٨ . بدون .

(٢) انظر : دراسات فى العقيدة والأخلاق ٣٧ / لجنة من قسم العقيدة والفلسفة ١٩٩٦ م .

يوجدها كاملة فى منتهى الغنى والقوة . ولماذا يعتريه الضعف والعجز ويحيق به العجز .

إنه – الإنسان – يعلم يقينا أنه تنقصه كثير من الأشياء ، ثم لماذا يموت ؟ أليست نفسه التى تعطى نفسها الحياة ؟ فلماذا تحرم نفسها هذه الحياة ؟ كلا ! كلا ! فالإنسان لم يوجد نفسه فمن أوجده ؟ إذا : هل أبى هو الذى أوجدنى ؟ كلا فإنه لم يستطع أن يوجد نفسه ، فكيف يوجد غيره ؟ إنه لم يكن موجدا يوم يولد ولد جدى مثلا ، وإنه يموت كما مات جدى من قبل فلا ابى ولا جدى أوجدنى ولا أوجدا نفسيهما ولا إنسان يستطيع أن يوجد إنسانا ، لأنه حادث ، ولأنه ناقص ، تعرض له الحاجات ، وتعتريه الآفات ، وتلجئه الضرورات إلى الاستعانة بغيره فى أكثر شئونه وأخيرا يغتاله الموت [١].

رابعاً الأخلاق فى الوجودية

من المعلوم أن المحور الأساسى والقاعدة لكل شئ هو الإيمان والاعتقاد اللذان هما فرع المعرفة ، ومن ثم يأتى الخلق والسلوك متفرعاً عن هذا الإيمان والاعتقاد فلا تحقيق للاخلاق إن لم يكن هناك اعتقاد يعتمد ويرتكز عليه ، ذلك أن الإيمان بالله تعالى يترتب عليه ارتباط سلوك الإنسان بالقيم الأخلاقية التى تنسب لله ، ارتباطا وثيقا.

ومن ثم كان من النتائج المترتبة على إنكار وجود الله تعالى كما يعتقد الوجوديون الماديون القول بنسبية الأخلاق ، ويصبح لازما من لوازم الإنسان أن يخلق قيمه الأخلاقية بنفسه كما يقول " سارتر " لأنه إذ كان الله تعالى ليس موجودا كما يزعم الوجوديون فإن القيم الأخلاقية لا وجود لها على الإطلاق بل تخضع لكل إنسان أن يخلق قيمه الخاصة به .

يقول " سارتر " فإذا كان الله غير موجود فإننا لا نجد أمامنا قيماً تسير تصرفاتنا وتجعلها شرعية ، لذلك فإننا لا نجد أمامنا ، أو خلفنا أى نوع من التشجيع

(١) دراسات فى العقيدة الإسلامية د/ فؤاد العقلى ص٣٠ ط ١٩٨٢ م .

والموافقة أو أى عفو على هفوة فنحن وحدنا بدون عفو أو قبول تبرير ، وهذا ما أسميه : **الجبرية فى الحرية** [١].

وعلى هذا يقول " سارتر " فليست المبادئ الخلقية من وضع الله ، ولا يجب إدراكها فى عالم القيمة الغامضة ، إن الناس يجدون أو يخلقون قيمهم الأخلاقية لأنفسهم ، فالأنظمة الخلقية قائمة على القرارات التى يتخذها لا على الأبنية الميتافيزيقية [٢].

ومن هذا المنطلق فإن القول بنسبية الأخلاق إنما يعنى فى المنطق الوجودى عدم وجود قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان وتضبطه وإنما كل إنسان يفعل ما يريد ، وليس لأحد أن يفرض عليه قيماً أو أخلاقا معينة .

ويرى " سارت " { أن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته ، بحيث يفعل ما يشاء ، ويترك ما يريد ولا يبالى بالدين أو العرف}[٣] وعلى هذا الأساس فإن الوجوديين لا يؤمنون بوجود قيم أخلاقية مطلقة و ليس لأحد أن يفرض قيما وأخلاقا معينة على الآخرين .

تعقيب ومناقشة :

لا ريب إن هذا القول إنما هو ثمرة من ثمرات إنكار الوجوديين للخالق واعتقادهم أن هذا الكون ليس له موجد ولا مدبر وان الحياة الدنيا هى نهاية المطاف .

والذى لا شك فيه إن إقصاء القيم الأخلاقية عن الإنسان والمجتمع الإنسانى ، هو أساس كل انهيار وتخلف . " ولذلك لا تعجب إذا سميت هذا المذهب بالفوضوية التى تحول الوجود كله إلى عبث لا معنى له ولا غاية من ورائه وتستخف بالقيم الأخلاقية أو ترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الإنسانى ، وتدعو الشباب الباحث عن اللذة إلى الانغماس فيها ، والعب من كؤوسها وإطراح كل ما يدعوا العفة أو الخلق أو الدين ، ولذلك قام على أثرها جموع غفيرة من شباب أوربا وأمريكا تدعو

(١) الوجودية مذهب إنسانى /٥٤ .

(٢) بين الفلاسفة والآداب مرانستون موريس سارتر ترجمة د/ فؤاد كامل ط دار الثقافة – القاهرة .

(٣) انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢٠٩ .

وتهيم على وجهها فى الطرقات تحت أسماء الهيبز " الخنافس " وغيرها ، وجميعهم فى مطلع الشباب ، وقد تحولوا جميعا ذكورا وإناثا إلى قطعان من الحيوانات ، تأكل من الحشائش وتنام مفترشة الأرض متغطية بالسماء مريضة دخلت فى رؤوس هؤلاء الشباب فمسختهم هذا المسخ " [١].

ذلك أن الإنسان كتلة هائلة من الغرائز التى لا تعرف الحدود ، ومجموعة من الشهوات والطموحات ، التى لا تعرف النهاية ، فإذا ترك وشانه لينال ما تدفعه إليه شهواته جر على نفسه وعلى مجتمعه الفساد ، لتضارب المصالح فكان لا بد من شئ يعزز مكانة الأخلاق ، وأفضل شئ هو الشعور بأن هناك عقاباً وثواباً ولا يتأتى هذا إلا عن طريق العقيدة الدينية والإيمان بالله .

فعندما يعرف الإنسان أن تجاوز الحدود المعقولة لغرائزه لا يخلو من عقاب وحرمان فى الآخرة ، فإن هذا الاعتقاد كاف لدفعه وحمله على مراعاة الحدود والبقاء ضمن الإطار الأخلاقى .

على أن تأثير الاعتقاد بالله لاينحصر فى تعديل الغرائز ، بل يتعداه إلى تنمية الفضائل والسجايا فى الإنسان ، فالإنسان لم يزود بالغرائز فقط بل زود بخمائر الفضيلة .

ومن هنا كان لا بد من الدين كدعامة للشئون الأخلاقية لأنه الوسيلة الوحيدة التى تخرج عن نطاق المنطق الضرورى وهو وحده الذى يتجاوز رقابة القانون ، وحراسة الرأى العام ، لأنه فى الواقع رقابة الذات لذاتها ، والنفس لنفسها ولأنه هو أيضا هو الذى يضفى على النظام الخلقى صفة القدسية ويكسبه عظمة الإيمان وجلال العقيدة ويسمو به عن متناول الشك وتخبط العقول ، ويخلق فى نفس كل امرئ وازعاً داخليا غير الضمير يسيطر على كل خلجة من خلجات فكره .

ويوجه كل حركة من حركات جسمه ويجعله يستشعر الخوف من خالقه ذلك الخالق الذى يحاسبه على عقائده وأفكاره كما يحاسبه على أعماله وسلوكه "[٢] .

---

(١) انظر الغزو الفكرى والتيارات المعادية د/ عبدالكريم الخطيب بحث مقدم إلى جامعة الإمام الرباط .

(٢) الإسلام نظام إنسانى د/ مصطفى الرافعى ٦٦ .

والفيلسوف الإنجليزى "هوبز " يعتبر الدين مصدر التشريع الخلقى وان الفعل الحقيقى يعتبر خيراً لأن الله يريده ، وبذلك يتفق مع الإرادة الإلهية [١].

ارتباط الأخلاق بالدين فى الإسلام :

لقد اهتم الإسلام بمكارم الأخلاق وجعلها تمثل ثلث تعاليم الدين ، فقد دعا إلى ضرورة تحلى المسلم بالصدق والأمانة والوفاء والوقار ، واعتبر هذه الصفات الأربع أخص آيات المؤمن ودعا إلى التخلى عن مساوئ الأخلاق ، واعتبر الإسلام سوالب الصفات السابقة أخص صفات المنافق .

بل لقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على إن ترك جميع المنكرات فرض لازم وواجب محتم ، وأما فعل الطاعات فالمفروض منها فعل القدر المستطاع الذى أوجبته الشريعة لأن الفرض هو ما اقترن الأمر به بالوعيد على تركه[٢].

إن الأخلاق فى المنهج الإسلامى وثيقة الصلة بالدين لدرجة عظيمة تبلغ حد التوحيد بينهما فلفظ الإسلام مشتق من السلام والتحية والأمن والإخلاص ، والدين وسيلة لتكوين الخلق وقد جاء فى السنة المطهرة ما يؤكد الصلة بين الأخلاق والعقيدة فقد قال ﷺ " لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له "[٣] فالإيمان يورث الأخلاق الفاضلة فمن فقد هذه الخصال الحسنة كان دليلا على ضعف إيمانه أو خلوه من الإيمان ، والأخلاق السيئة دليل على عدم الإيمان ، والإسلام جاء لينتقل بالبشرية خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب وأنه اعتبر الحياة المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صحيح رسالته كما أنه أعد الإخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه .

فالدين والأخلاق حقيقتان متلازمتان لا ينفصلان فى جميع الأديان وعلى مر العصور ، فالدين لا قيام له دون أخلاق يتخلق بها المتدينون[٤] فإذا رجعنا إلى اقدم الحضارات وهى حضارة قدماء المصريين ، الذين آمنوا بخلود الروح والبعث

---

(١) التربية فى الإسلام د. أحمد فراد الأهوانى ٩٥ وما بعدها ط الثانية .

(٢) النظم والثقافة الإسلامية د. مصطفى حميدة ٥٣ ط أولى ١٩٩٠ مطبعة الحسين الإسلامية .

(٣) الترهيب والترغيب ٣/٤ .

(٤) التربية فى الإسلام د. أحمد فؤاد الأهوانى ٩٥ ط الثانية .

والحساب والعقاب ، نرى مدى تلازم الدين والأخلاق عندهم فالكتابات المسجلة على جدران المعابد بها الكثير من قواعد السلوك التى تعتبر هداية إلى الخير وميزانا للعمل الصالح وتؤكد على تلازم الدين وصلته بالخلق " (١).

ذلك أن " المجتمع بغير دين مجتمع غاية وإن لمعت فيه بوارق الحضارة ، الحياة والبقاء للأشد ، والأقوى للأفضل ولأتقى ، مجتمع تعاسة وشقاء وأن زخرف بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم " (٢).

فالأخلاق جزء لا يتجزأ من الدين فهما متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر فلا توجد أخلاق بغير دين والعكس صحيح ويعبر عن هذا الارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق علماء الغرب بغير دين والعكس صحيح ويعبر عن هذا الارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق علماء الغرب يقول الفيلسوف الألمانى " شاخت " " الأخلاق من غير دين عبث " ويقول " كانت " " أنه لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة هى : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت " .

ويقول الزعيم الهندى " غاندى " " إن الدين ومكارم الأخلاق هما شئ واحد لا يقبلان الانفصال ولا يفترقان بعضهما عن بعض ، فهما وحدة واحدة لا يتجزأ ، إن الدين كالروح للأخلاق والأخلاق كالجوهر للروح ، وبعبارة أخرى إن الدين يغذى الأخلاق وينميها كما أن الماء يغذى الزرع وينميه"(٣) .

وبعبارة أخرى : إن الفضائل والسجايا الكريمة جزء من فطرة كل إنسان ، وأن الميل إلى الخير وكراهة الشر مغروسان فى جبلة البشر ، فهم يحبون الخير وأهله، ويكرهون الشر وأهله ، ولكن البذور والخمائر لا تستطيع مقاومة الغرائز ومزاحمة الشهوات إلا إذا قويت ونمت ، وهى لا تنمو إلا فى ظل الدين الذى ينطوى على الاعتقاد بالله ، وما وعد من مثوبات عظيمة ، وعقوبات شديدة ، وبهذا يكون الدين خير وسيلة لتنمية السجايا فى الكيان الإنسانى لما لها من أثر كبير فى حياة كل من الفرد والمجتمع .

---

(١) الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوى ١٧٥ .

(٢) العقيدة والأخلاق نخبة من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بحث الأخلاق د. سامى حجازى ٢٣٦.

(٣) الإيمان والحياة ١٧٦ .

ذلك أن الأخلاق التى هى سلوك وسجايا وطبائع وهيئات تتعلق بالإنسان إذا حسنت واستقامت وصلحت فى كل ما يصدر عن صاحبها من أقوال أو أفعال كانت دليلا واضحاً وبرهاناً ساطعاً على قوة الإيمان وعلى سلامة الوجدان وعلى صدق التقييد بما يرضى الخالق عز وجل . ذلك أن الأخلاق الكريمة هى ثمرة الإيمان القوى الصادق وأن الأخلاق السيئة هى وليدة ضعف الإيمان . لذا فقد حضت الشريعة الإسلامية أتباعها على التمسك بالأخلاق الفاضلة وحذرتهم من الوقوع والاقتراب من رذائلها ، وبينت لهم أن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات ، بينما سوء الخلق يهوى بصاحبه إلى أسفل الدرجات .

ومن تأمل مقاصد الأوامر والنواهى الدينية وتغلغل فى أسرارها عرف أنها ترمى إلى غرض واحد ، هو طهارة النفس وكمالها الإنسانى ، الذى تسعد به فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ تجد أن فلاح الإنسان منوط بسلامة عقيدته وصلاح أعماله ومتانة أخلاقه وقال ﷺ " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " فقد جعل مكارم الأخلاق الغاية من بعثته الشريفة وآثار الاهتمام بالأخلاق بقوله " أثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن " وقال الحكماء " إن اعتدال الأخلاق فى الإنسان قد يكون السبب وحده فى سعادته " (١).

خامسا : الحرية فى مفهوم الوجودية

مما سبق تبين لنا أن من الركائز الأساسية التى قامت عليها الفلسفة الوجودية هى التركيز على إطلاقه الحرية الكاملة للإنسان وتحلله من كل القيم والمبادئ والأعراف وانطلاقه لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد أو شرط . وذلك واضح مما ذكرنا آنفاً .

---

(١) الخلق الكامل محمد المول ٣/١ .

فعندما قدم " سارتر " الوجود على الماهية إنما أراد أن يعطى للإنسان حرية مطلقة والإنسان الذى ألقى به فى هذا الوجدان ودون سبب ودون أن يدرى لماذا وجد نفسه مجبراً أن يكون حراً إذاً لا مفر له فى ذلك (١).

فهو يرى أن الإنسان وجود لا ماهية وبالتالى فهو يؤمن بالحرية المطلقة التى تمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويملأ وجوده على النحو الذى يلائمه قالها " باسيرز " وعززها بوجه خاص " جان بول سارتر " فيلسوف الوجودية الأشهر الذى يرى أن الوجودية " تقوم على الحرية المطلقة ، التى تمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ مواقفه كما يبدو له تحقيقا لوجوده الكامل " ، أما مؤسسها " كير كجور " الدنماركى(٢) فهو يرى أن " الإنسان كما تتصوره الوجودية ، ليس له فى البدء أى وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده ويقول " سارتر " (إنى محكوم على أن أكون حراً وهذا يعنى أنه لا يمكن أن يوجد احريتى حدود أخرى غير ذاتها ، وإذا شئنا نحن أحراراً فى الكف عن أن نكون أحراراً "(٣) ويقول أيضا : " إذا كان ليس موجوداً فكل شئ مباح ! " .

ويقول كامى : " إن التمرد هو الحل الوحيد لكل ما فى الوجود من " لا معقولية " .

ويترتب على التمرد كحل للتجربة العبثية رفض كل التصورات الميتافيزيقية – ما وراء الطبيعة أو الغيب – خاصة فيما يتصل بقضية الحرية " .

ومن هنا يمكن تلخيص النظرية الوجودية ، أو الواقع الوجودى بالدعوة التى تقول : أنت مطلق الحرية فاصنع ما شئت فإن الحياة كلها سخف يورث القلق والضجر!

وقد وصف الباحثون الغربيون الوجودية بأنها : الملل والعبث والسام والرفض والتوتر والشعور بالاغتراب والغثيان ، وبأنها مرض الإنسان فى منتصف القرن العشرين وذلك على حد قول سارتر : اليوم كغد كبعد غد ، وأنه لا طعم لشئ ولا لذة

(١) الوجودية مذهب إنسانى ، جوليفية ريجبس / ١١٢ .
(٢) الجوهرى ٦٦٦/٢ .
(٣) الوجود والعدم / جان بول سارتر ٧٠٣ .

ولا أمل فى شئ ! " . ويبدو أن السبب فى ذلك يعود إلى قيام المذهب الوجودى – فلسفة أو واقعا – على عدم الاعتراف بالله هو عدم اعترافه بكل شئ .

فالوجودى لا ينتبه إلا إلى ذلك الجزع النفسى الذى يملك على الإنسان حسه ونفسه جميعاً وإلى ذلك الشعور بالقئ أو الغثيان الذى يسيطر عليه ندما يواجه العالم .

إن " بول سارتر " قال : كتب ديستويفسكى يقول : إذا لم يكن الله موجوداً فإن كل شئ يصبح مسموحاً ..

من هنا تنطلق الوجودية ، فى تصورها للحرية ، فالإنسان متروك لا يعتنى به أحد لأنه لا يجده لا فى نفسه ولا فى خارجها شيئا يتمسك به ويتعلق بأهدابه ، فهو لا يجد قبل كل شئ أية مسامحة لأخطائه لأن التفسير غير ممكن بالمقابلة مع أى كائن محدد التكوين . لأن الوجود الفردى سابق للجوهر كما أسلفنا مما ينفى وجود الشكل الذى اعتبر نموذجاً محدد المعالم ، وبمعنى آخر فإن الجبرية ليست ذات موضوع بحث ، فالإنسان حر ، بل الإنسان حرية . "

تعقيب ومناقشة :

لا ريب أن الحرية فى الفلسفة الوجودية لا يقرها عقل سليم ، ولا فكر مستنير، ولا نفوس سوية ، وليس فيها من العقل مثقال ذرة ، بل إن أفضل وصف لها أنها فلسفة الفوضى الإنسانية ، ويؤكد " الواقع أن الوجودية ليس فيها من الإنسانية شئ، وليس فيها من العقل إثارة ، فقد أثبتت الظروف التاريخية أن الذين اعتنقوها فى الغرب الضائع ، والشرق المريض ، قد ساروا فى متناقضات ، وتردوا إلى التحلل والانحلال باسم الحرية الكاذبة ، حتى وضعوا على عاتقهم رسالة اللامبالاة أو مسئولية اللامسئولية والدفاع عنها فى متاهات الفوضى باسم الحرية وممارسة الحرية والزعم بل الاستمتاع بالحرية دليل الوجود الوحيد لهذا أعطت الوجودية كحرية هدامة للعقائد والأديان والمثل الأخلاقية ، أعطت أنصارها غرور هرقل وما فوق هرقل من آلهة الإغريق ، وعجزت عن أى خلق وأى إبداع سوى إبداع اليأس والملل ، والتوتر ، والقلق والانتحار المتسلسل إلى نهاية حلقة هذه البطولات الخارقة " (١).

(١) الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث د/ عبدالقادر محمود ص٢٢٣ .

معنى هذا أنه لا يمكن قيام أخلاق وجودية بالمعنى الذى نفهمه ، من ارتباط السلوك الأخلاقى بالمثل العليا ، بوحى من شريعة العقل والدين ، ورغم أن " سارتر " تحدث عن الآفاق الأخلاقية ، إلا أن ما قاله ، لا يؤدى مطلقا إلى وضع شرعة من القيم الأخلاقية ، بدليل أنه ينتهى كعادته ، عبر المتناقضات الفكرية والجدلية الوجودية إلى استحالة قيام هذه الأخلاق ، وإذا كان " سارتر " قد وعد بتأليف كتاب فى الأخلاق، أو إذا كانت صاحبته ، ولا نقول زوجته ، قد خرج كتابا أو رسالة عنوانها ، فى سبيل قيام أخلاق على أساس ازدواج الدلالة سنة ١٩٤٧ فهى مقهى حاليمار ، فالخلاصة عند رائدى !!! الوجودية وصاحبته أن الأخلاق – الوجودية مرادفة فقط المتحرر من الأخلاقية التقليدية ، بمعنى أن لا أخلاقية على الإطلاق لأن إرادة الأخلاق وإرادة الحرية شئ واحدا وإذن فالأخلاقية الوجودية هى الحرية المطلقة من كل قيد وكل خلق تبعاً للتحرر من كل دين وأى آلة " [١].

إن هؤلاء الوجوديين أنصار الحرية الشخصية والسلوك الفردى إنما يريدون أن " ينطلق الناس فى الحياة كالحيوانات دون وازع من خلق أو رادع من قانون ، ولا شك أن الإسلام يحمى أهله من هذا السقوط ويرفض بحزم أن تنطلق مثل هذه التصرفات باسم الحرية الشخصية ويرى أن هذا مرضا يجب بتره بكل قوة حفظا على العفة والفضيلة وحرصا على بقاء مجتمعه ..

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن هذه الحرية التى تنادى بها الوجودية مرفوضة شكلا وموضوعا ، وقد تنبه المجتمع الغربى إلى فساد هذه الحرية لذلك فقد رتبت عقوبات معينة على هذا النوع من المخالفات . ففى سنة ١٩٢٨ عقد فى فينا مؤتمر مكافحة المسكرات وكان ما قرره مطالبة الحكومة بعقوبة شارب الخمر بدنية إذا سكروا وأصبح ثملا لأنه يؤذى الناس فى شعورهم ، وقد يتلفظ بما يمس كرامتهم وعلل المؤتمر ذلك يقوله : " ليست الحرية هى ما يفهمه الجمهور من أن يفعل الإنسان ما يشاء بل أن تقيد حرية الفرد لضمان

(١) انظر المصدر السابق / ٢٢٢ .

حرية المجتمع هو المفهوم الصحيح لمعنى الحرية ، وما دام السكران يؤذى حرية الآخرين فإن تقيد حريته وعقوبته هى تطبيق للحرية بمعناها الصحيح " .

وهذا الذى بدأ الغرب يتنبه له هو ما جاء به الإسلام منذ أربعة عشر قرنا .. فما أعظم الفرق بين مفهوم الحرية السليمة الواضح عند المسلمين ، وبين مفهوم الحرية الفوضوى المدمر عند غير المسلمين .

لقد جعل الإسلام الحرية حقا مقدسا من الحقوق الطبيعية للإنسان – كحياته سواء بسواء – وهى الصفة الطبيعية الأولى التى بها يولد الإنسان ، فلا قيمة للحياة الإنسانية بدون الحرية . وتطلق على الخلوص من القيد فيقال : هو حر أى غير أسير"[١].

ويرى فضيلة الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله تعالى – " أن الإسلام دين فطرة ، ومعنى الفطرة الطبيعية فهو دين طبيعى ، وأوتيت العقل لأفكار ، فكل ما هو فطرة فى حركات العقل والأعضاء ، لا بد أن أعلم أنه دين ، ولا بد أن أباشره لأن هذا حقى الطبيعى . وكما يقال طبقا للقاعدة العامة إن الإنسان حر " [٢].

إن فهم الوجودية وغيرها مما يشبهها من مذهب الغرب للحرية مخالف لعقائدنا وقيمنا وتعاليمنا وتقاليدنا .. فالحرية عندهم حرية تفتح الباب للفرد لأن يفعل ما يشتهى دون قيد أو شرط يراقص ويقامر ويشرب الخمر ويسكر ويزنى .. ويفعل الموبقات ولا لوم عليه من عرف ولا مؤاخذة من قانون ، لأنه فى نظرها – والحالة هذه – يمارس حقه .. المهم ألا يؤذى أحدا .. وتلك حرية الغريزة الحيوانية لا حرية الإرادة الإنسانية ، وإرخاء العنان لشهوات الإنسان بهذه الصورة انحلال كبير لا يقره دين وهدم للإنسان والمجتمع معا إذ أنها متداخلان مترابطان يؤثر كل منها فى الآخر.. فإذا فسد جانب فسد الثانى) ..

إن الحرية فى الإسلام حرية " متوازنة ، فحيث يمنح الإسلام الفرد الحرية لا يتركها فوضى ، بل يضع مبدأ التوازن بين متطلبات الفرد ومتطلبات المجتمع ؛ حتى

(١) المعجم الوسيط / ١٧٢/١ .

(٢) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة / الشيخ / محمد الغزالى ٧٨ ط نهضة مصر .

لا يطغى أحداهما على الآخر ، فالمجتمع لا يمحو إرادة الفرد ويلغى اعتباره ، ولكنه يجعل إرادته للخير الجماعى " .

ذلك أن تكريم الإنسان " مرتبط بوضع ضوابط على تصرفاته ، وبالتزام بتلك الضوابط حيث " لا ضرر ولا ضرار " فحرية الإنسان تتأكد حين يدرك تكريم الله : **{ولقد كرمنا بنى آدم ... }** حيث الضوابط لا القيود ولا الفوضى ، والتزامه بذلك خشية العاقبة : **{ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون }** ، أو قوله تعالى: **{ أيحسب الإنسان أن يترك سدى }** .

والالتزام بضوابط الحرية يعنى أداء الأمانة وتحقيق المسئولية ، فالفوضى فى التصرفات تتنافى مع الأمانة ؛ فحين يشعر الإنسان أنه حر فى نفسه ، فى ماله ، فى تصرفاته ، يفعل ما يشاء مع الأمانة ؛ فحين يشعر الإنسان أنه حر فى نفسه ، فى ماله، فى تصرفاته ، يفعل ما يشاء ، فلا حسيب ولا رقيب ، فأين الأمانة والمسئولية؟!

ومن هنا ندرك خطأ فهم الوجوديين للحرية ، ذلك أنه " إذا أطلق للإنسان كل عنان ، وتركه وشانه فى الحياة يأخذ من دنياه كل ما هو متاح له دون ضابط من دين أو قيد من شرع أو قانون ودون نظر على شئ وراء هذه الحياة الدنيا – كما تريد الوجودية أو البرجماتية هبط الإنسان إلى مستوى الحيوانية . وصار له طبع البهائم التى تعيش لتأكل فقط .. وهذا المستوى لا يرضاه الإسلام لبنيه **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾** " سورة محمد : ١٢ (١)"

وأخيرا نقول للوجوديون الملحدون " إذ كنتم موجدين فقط وليس الله موجودا وأصبحتم أحرار فى هذه الأرض فى زعمكم فهل تستطيعون أن تتحرروا من قوانين الله فى الكون أى هل تملكون جميع ما تتمنون الحصول عليهم ؟ وهل أصبحتم كلكم أغنياء ؟ هل لا يصيبكم أى ضرر أو مرض طول حياتكم فى هذه الدنيا ؟ وهل فى استطاعتكم أن تفروا من الموت حتى يعيشوا فى هذه الدنيا ابد الدهر سعداء ؟ هذه التساؤلات لا يستطيع الوجوديون الملحدون أن يردوا عليها ولكن الخالق البارى مالك الملك يجيب على هذه التساؤلات فيقول : **﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ**

(١) انظر : حرية الرأى فى الإسلام د/ محمد يوسف مصطفى وحقوق الإنسان / الشيخ / محمد الغزالى ٧٠ وما بعدها ط نهضة مصر وحرية الفكر فى الإسلام لعبدالعال الصعيدى .

وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة آية ٢٨ . وقال سبحانه وتعالى **﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾** سورة النساء ٧٨ وقال الله تعالى **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾** سورة لقمان ٣٤ .

سادسا : ظاهرة القلق فى الوجودية (١)

يعتقد الوجوديون إن كل ما فى الطبيعة شك ويأس وقلق ، ويحظى القلق فى الفلسفة الوجودية بمعنى خاص ، وأهمية خاصة ، وهو يتميز عن أى نوع آخر من القلق فما هو القلق فى الفلسفة الوجودية ؟ يتضح ذلك من خلال أقوال فلاسفة الوجودية.

يقول عنه بيرد بائيف :" إن العنصر الأساسى فى الوجود الإنسانى هو القلق ومن الضرورى التمييز بين القلق والخوف والضجر ... القلق يشير إلى العلم الأعلى، ويرتبط بتجربة التفاهة وبانعدام الأمان والثبات فى هذا العالم ، والقلق يشهد على المتعالى وعلى المسافة ، والهوة الفاغرة فاها بين الإنسان وبين المتعالى والقلق شوق إلى عالم آخر .... إلى ما هو عبر حدود عالمنا المتناهى ، إنه يدعو إلى العزلة فى مواجهة المتعالى . إنه نقطة الصراع الأعظم بين وجودى فى هذا العالم والمتعالى ، ويستطيع القلق إن ينبه وعيى بالله ، ولكنه يمكن أيضا هجران الله لى إنه يتدخل بين المتعالى وبين هوة اللاوجود : هوة العدم .

أما الخوف والضجر فيقصران على الوجود الأرضى ، الخوف دليل على الخطر الآتى من العالم لأدنى ، والضجر يشير إلى تفاهة هذا العالم وخوائه ، ما من شئ أدعى إلى القنوط والخوف المتعب والملل للحياة والقلق يسمح بالأمل ، أما الضجر

(١) قلق الشئ قلقا حركة – والهم وغيره فلانا أزعجه قلق – الشئ قلقا : لم يستقر فى مكان واحد . و – لم يستقر على حال و – اضطرب وانزعج فهو قلق : والقلق : حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث / المعجم الوسيط ٦٧٥/٢ مادة (قلق) .

فيخلو من كل أمل ، ولا مخرج هناك من الضجر إلا بممارسة الإبداع ، والخوف يرتبط دائماً بالخطر الخارجى ، ويجب تمييزه عن الجزع الذى هو تجربة من أعماق الروح تتعلق بالوقائع المتعالية للوجود والعدم .

ويميز " كير كجور " بين القلق وبين الخوف ، والقلق بالنسبة إليه ظاهرة أولية ، والقلق والجزع تجربتان ترتبط إحداهما بالأخرى ، غير أن تجربة الجزع أكثر حدة وشدة وطغياناً ، بينما القلق أخف واهدأ واقل إزعاجاً ، والجزع قد يخلص الإنسان من الضجر ، أما إذا تحول إلى قلق فإن حالة الإنسان المرضية تشتد حدة وتصبح مزمنة . وأيسر على المرء أن يحتمل القلق من أن يحتمل القلق والأسر .

ولهذا كنت أسعى للفرار منهما بأسرع ما يمكن إذ كنت أشعر بأنى عاجز إزاء كل ما يحرك عواطفى ، كنت مرهف الحساسية عميق التأثير ، أما الحزن الذى يستقر فى القلب فإنه ينظر دائما إلى الماضى بينما يتطلع الجزع وهو الذى يصيب الروح إلى الأبدى .... ولقد عرفت القلق والجزع واحتملتها فى صلابة . بيد أنه كان يبدو لى أننى لو سلمت قيادى للحزن لكان فى ذلك هلاكى .

الحزن يرتبط بإحساس الشفقة الذى كنت أخشاه دائماً لأننى أعرف القوة التى يمكن أن يتسلط بها على روحى ، ولقد كنت مدفوعاً إلى إقامة الحواجز ضد الحزن والشفقة ، هذا ما فعلته حقاً ضد كلما يثير عواطفى . بيد أننى كنت عاجزاً عن مقاومة القلق ولم تكن له تلك الأفكار المدمرة على نفسى [١].

ويقول : " باسكال " وهو أحد أقطاب الوجودية كل ما أراه فى الطبيعة هو موضع شك وقلق ولو كنت لا أرى شيئا يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده ولو شاهدت آيات خالق فى كل شئ لاسترحت لوجوده بالإيمان ، ولكن ما أراه هو أكبر من أستطيع إنكاره وهو أقل من أن يقنعنى فأنا فى حالة تستوجب الشفقة [٢].

والقلق عند " هيدجر " بمعنى الدوار الذى يكشف عن الإمكانيات المستقبلية ، الذى يطلعنا على ذواتنا بوصفنا قد القى بنا فى هذا العالم عزلة وبلا مأوى ، وبلا أمل فى الاتصال ، ويرى أننا نوجد ولا ندرى سبب لوجودنا ، ومن ثم فنحن بلا ماهية ،

(١) انظر معنى الوجودية ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) الوجودية المؤمنة والملحدة د/ محمد غلاب ١٨ .

ذلك أن الإنسان كما يزعم هيدجر هو الذى يقوم فى هذا العالم بحدوه الموت ويجربه القلق ، وهو الإنسان الذى يعى نفسه كمخلوق يحيا أصلا فى القلق تحت وطأة وحدة داخل أوفق زمنه ، فالتفسخ والانحلال والوجود الموجة من أجل الموت يثير القلق "[١].

ويرى " سارتر " أن القلق يتمثل فى الاختيار الذى يسير عليه الإنسان فى سلوكه فيقول : " ليس القلق هنا مما يؤدى إلى السكون والخمول بل هو قلق بسيط يختبره كل الذين يتحملوا مسئوليات ، فإذا تحمل قائد عسكرى ، مثلا مسئولية هجومه وبعث بعدد من جنوده إلى الموت فإنه يختار فعله ويختار وحده . لا شك أن هناك أوامر تأتيه من فوق ولكنها غير دقيقة وتقضى تأويلا من قبله يقدر مصير عدد معين من الأشخاص فمن المحال أن يتخذ القائد قراره بدون إن يقلق بطريقة ما والقواد جميعهم خبيرون بذلك القلق لكن هذا لا يمنعهم من العمل بالعكس هو شرط لعلمهم الذى يعترض التفكير بممكنات متعددة ويختارون إحداها ويعطونها أخيراً قيمة مرتبطة بالاختيار ذاته ؟

إن هذا القلق الذى تصفه الوجودية يفسر بمسئولية تجاه بقية الناس الذين يلزمهم القلق ذاته إنه ليس . بحاجز يفصلنا عن العمل بل هو جزء من "[٢].

تعقيب : وهكذا نجد أن القلق واليأس والقنوط سمة من سمات الفلسفة الوجودية ، وذلك نتيجة طبيعية لعدم إيمانهم بالله تعالى وأن تعريف الموت هو " الوجود الموجه نحو النهاية ، ويبدو أن هيدجر لا يعرف حلا آخر غيره للوجود وإلى هذا الحل يمكن أن تعزو طابع التشاؤم العميق إلى فلسفته التى لا تلعب فيها الأبدية أى دور . وفلسفة هيدجر على هذا هى فلسفة الوجود العينى المادى أكثر من إن تكون فلسفة للوجود وهى فلسفة قلق أكثر من أن تكون فلسفة الخلق وهى لهذا السبب تهتم بجانب من جوانب الزمان ، ونظرة الإنسان إلى المستقبل لا تتجدد بواسطة القلق والخوف وحدهما كما يذهب الوجوديون ولكنها تتجدد بالنشاط الإبداعى والعمل .

(١) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى /١١١/١١٢ والإسلام والفلسفات المعارضة له فى القديم والحديث د/ عبدالقادر محمود /٢١١ .

(٢) سارتر الوجودية الإنسانية فى أذمة العصر – (٢٧٠) .

وإذا كانت فلسفة هيدجر لا تستقيم مع العقل والواقع فإنها من ناحية أخرى لا تستقيم مع الدين . والدين الذى نعنيه بخصائصه هو الدين الإسلامي ، وفلسفة هيدجر على النحو سالف الذكر نجدها قد هجرت الدين إذ أن الوجود فى نظر الدين مكون من: وجود زمنى – الدنيا . وجود أبدى – الآخرة . والموت فى نظر الدين هو النهاية الطبيعية للوجود الزمنى ومرحلة انتقال إلى الوجود الأبدى وليس عدما محضا كما تصور هيدجر . ثم أنه لو كان الموت نهاية كل إمكانية فلا يمكن إن يكون هو المصدر الذى يخرج منه الممكن "[1].

أما القلق عند سارتر فيعتريه الغموض وغير مفهوم يقول فولكييه : من العسير إن يفهم المرء فى سهولة هذا القلق السارتى : إذا لماذا يخشى الإنسان أن يسئ الاختيار ما دام أنه لا توجد أى سلطة تفرض علينا اختيارا معينا وان الأفضل هو ما يعنيه اختيارنا . وفوق ذلك فإن هذا الاختيار لا يتناول إلا اللحظة الراهنة ، ويمكن أن ينبذ فى اللحظة التى تليها ما دمنا أننا ملزمون بضرورة تعاقب الاختيار البدى المتواصل . كما يقول سارتر .

– لماذا يأتى القلق من اختيار لا يلزم صاحبه إلا لحظة واحدة .؟

– ولماذا يهم اختيارنا الإسكانية كلها ما دام أن كل فرد منا يجب إن يختار لنفسه مستقلا عن الآخرين ، ويصنع هو نفسه أخلاقه وحقيقة أو ماهيته الخاصة على حد تعبير سارتر "[2].

ولا يخفى إن هذا القلق واليأس والضجر ، نتيجة طبيعية لرفضهم الإيمان بالله تعالى ، الذى يضع للإنسان الهدف والغاية من هذه الحياة .

ومن هنا " ندعهم وما هم فيه من حيرة وقلق ، وهم فى هذا الموقف الذى فيه هم عقيم مقعد مع ما يطرقهم من وساوس وهم يبحثون عن هذا الإله الذى خيل إليهم أنهم خرجوا من سلطانه ، وأخلوا أيديهم منه كما يزعمون ، ونحن نجرم أن فراغاً هائلاً يموج فى كتابهم وعواطفهم من مجرة القلق والشك والحيرة ، أنهم مع ما يبدوا عليهم من رضا عن موقفهم هذا المنكر للإله – لا تخلو أنفسهم أبداً من طوارق

(١) الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى – (١٢٤) .

(٢) الإسلام وتيارات الفكر المعاصر / الدكتور طلعت الغنام /٧٩ .

الوساوس ، والكآبة والهموم التى تغشاهم من مناطق مندسة فى أعماقهم ، لا يدرون لها تأويلاً ، ولا يستطيعون عنها تحويلا ، وهى تحدثهم عن الله وتكشف لهم عن سلطانه القائم عليهم ، وعلى كل ما فى هذا الوجود ذلك هو فى الواقع هو وضع الملحدين ، والكافرين والمنافقين والمشركين وكل من فى قلوبهم مرض حجب عنهم الرؤية الكاشفة للحق الذى ينشر نوره ويمده سلطانه وملكوته للسماوات والأرض "[1] ذلك أن هذا القلق والتيه والضجر والخوف نتيجة لفقدانهم الهدف والغاية من هذا الوجود أما **فى الإسلام فإن** (غاية الإنسان ومهمته فى الحياة قد بينتها عقيدة الإسلام أوضح البيان فالإنسان لم يخلق عبثا ولم يترك سدى وإنما خلق لغاية وحكمة لم يخلق لنفسه ولم يخلق ليكون عهدا لعنصر من عناصر الكون ولم يخلق ليتمتع كما تتمتع الأنعام ولم يخلق ليعيش هذه السنين التى تقصر أو تطول ثم يبلعه التراب ويأكله الدود ويطويه العدم ، إنه خلق ليعرف الله ويعبده ويكون خليفته فى أرضه ، خلق ليحمل الأمانة الكبرى فى هذه الحياة القصيرة أمانة التكليف والمسئولية ، فيصهره الابتلاء وتصقله التكاليف وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هى حياة الخلود والبقاء الأبدى الذى لا ينقطع . إنه لبناء عظيم حقا أن يكون هذا الإنسان لم يخلقه لنفسه وإنما خلق لعبادة الله ولم يخلق لهذه الدنيا الصغيرة الفانية وإنما خلق للحياة الخالدة الباقية ، خلق للأبد!.... وما أعظم الفرق بين الذى يعيش لنفسه ، والذى يعيش بربه بين من يعيش لدنياه المحدودة ومن يعيش لوجود غير محدد بزمان ولا مكان . إن النظرة المادية الملحدة لم تعرف للإنسان غاية لأن الغاية تقضى قصدا والقصد يقتضى قاصدا وهى تنكر أن يكون الإنسان قد خلق قصدا ولهذا فليس للإنسان فى نظرها رسالة غير رسالة الكدح وراء العيش وابتغاء تحسينه وبعبارة أخرى وراء زينة الحياة الدنيا ومتاعبها لا أكثر من ذلك فإذا فنى العمر القصير للإنسان فقد انتهى كل شئ فى وجوده وما أصدق قول القرآن (قل متاع الدنيا قليل.) النساء / ٧٧ وهو ليس متاعا قليلا فحسب بل هو أيضا رخيص ، متاع حقير لأنه متاع حيوانى محض ، سخر بعض الأدباء من عشاقه فقال : " من كانت غايته بطنه وفرجه فقيمته ما يخرج منها "[2].

(١) الإسلام فى مواجهة الماديين الملحدين / د. عبدالكريم الخطيب ٢٥/٢٤ .

(٢) الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوى ، ص٨٠ /٨١ .,

سابعاً : الإنسان بين الإسلام : والوجودية

من المعلوم أن الإنسان مثار الجدل فى الفلسفة الوجودية ، ومن ثم فلا بد أن نقف على الفرق بين نظرة الإسلام للإنسان والنظرة التى تنقضها عند الوجوديين ، فالإنسان فى الفكر الوجودى إنسان حر لأقصى الحدود للحد الذى يستطيع أن يسير نفسه بنفسه ، ويلبى نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود ، ولا توجد معايير موضوعية ، يمكنها إن يلجأ إليها الشخص للإجابة على مشكلات الاختيار ، لأن المعايير المختلفة تقدم نصائح متضاربة ، وعلى الفرد أن يقرر باستمرار ما هو خطأ وما هو صواب ، وعلى الفرد أن يضع هذه المعايير ، ولكل فرد معاييره الخاصة ، وبالتالى لا توجد ضوابط أو قيم محددة يميز من خلالها الحسن من الردئ والصحيح من السقيم ، وهذا من شأنه أن يدفع المجتمع إلى التفسخ والانحلال ، فلا معايير ثابتة يمكن أن يقاس على أساسها الخطأ والصواب ، وتفكك المجتمع يؤدى إلى انهياره فإن ساد فيه من الفساد ، لحقه الدمار لا محالة !! .

أما الإنسان فى عرف التصور الإسلامى ، فهو يتبوأ المكانة الرفيعة عند الله ، فقد خلقه فى أحسن تقويم ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض من أجله ، وهو" أفضل الكائنات الحية التى تعيش على وجه البسيطة وأفضلها وأكرمها ، لما أودعه الله فيه من مزايا وميزه من صفات ، ولما أعده من جليل الغايات التى لا تصل إلى مثلها سائر الكائنات الأخرى ، وسبب هذا التفضيل أنه تعالى أعد الإنسان لخلافته على هذه الأرض ولإعمار هذا الكون بالخير والعمل الصالح ، وبين له طريق المفازة والسعادة فى الدنيا والآخرة وحذره من طريق الشقاء والعناء فى الدنيا والآخرة .

وقد فطر الإنسان نتيجة لذلك ، الفطرة الكريمة الصالحة التى يستطيع أن يستخدمها للخير إن شاء الله والشر إن شاء ، فلم يفطر الإنسان على الشر بطبعه ، ولم يحمل نتائج خطيئة لم يرتكبها ، ولم يترك هكذا عبثاً دون هدف أو غاية ، بل رسم له طريقاً يسلمه للوصول إلى الإيمان الحقيقي الكامل ومن ثم السعادة .

وقد اودع الله فى الإنسان ما يستطيع به إدراك الحقائق الكبرى فى الوجود ، وندبه للقيام بمهمة التعرف على هذه الحقائق التى يراها الحس والعقل والوجدان فى

الآفاق وفى النفس وفى كل شئ ففى الأرض آيات للمؤمنين وفى السماء مثل هذه الآيات وأعظم : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ سورة يونس الآية ١٠١ ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ سورة الذاريات الآية ٢١ ، فالفطرة السليمة التى تتوجه إلى الكون بروح متفتحة تكشف ما فيه من قصد وتصميم وإبداع ، وتنتهى إلى إدراك مكانها من هذا الوجود ، وتحديد كيفية سلوكها فيه ، ومن خلال هذا التصور تتحدد علاقة الإنسان بالله تعالى ، تلك العلاقة التى تتمثل بالعبودية المطلقة لله وحده ، العبودية بكل متطلباتها ، وأول هذه المتطلبات الائتمار بأمره وحده " فى كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها والتوجه إليه بكل نية وكل حركة وكل كلمة وكل عقل[1] فلا يعتقد المسلم الألوهية لأحد غيره سبحانه ولا يعتقد أن العبادة تكون لغيره من خلقه ولا يعتقد أن الحكمية تكون لأحد من عبادة أو هو نفسه كما يفترض الوجودية .

فالمسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد استقل بخلق الموجودات كلها وأوجدها من العدم حين شاءت مشيئته تعالى خلق الأرض وما عليها والسماء وما فيها ، واختار من هذا الخلق مخلوقا سماه الإنسان ومن عليه بهذه الحياة وبمعظم ما حوله من الجمادات " الطبيعة " ، وهو وحده ينعم بهذا العقل الذى سخر له ما فى السماء وما فى الأرض ، وقد قدر لهذا الإنسان أن يكون سيداً لهذا الكون لتحقيق خلافة الله فى أرضه .

ويسير له سبيل الهداية إلى سعادته فى دنياه وآخرته ، ووهب له العقل ، وميزه بالتفكير ، ومكنه به من السيطرة والانتفاع بما أوجده له على هذا الكوكب الأرضى ، واعتبر هذا العقل مناط الخطاب والتكليف ، فمن فقده فقد ميزه الإنسان ، ورفع عنه القلم والتحق بالأنعام وحين يتقيد الإنسان بمقتضيات هذه العلاقة فإن عمله سيكون حسب مراد الله وأمره وسيكون فى هذا حياة له ونور ، وما يريده الله تعالى للإنسان ومن الإنسان يعرف عن طريق الرسالات التى أرسلها على أنبيائه الذين اصطفى ، وقد كان ذلك منهجه من الله وهبة لعباده أعفاهم من الكد فيها ووفر عليهم جهدهم فى هذا المجال الذى لم يوهبوا دليله ولا أداته ، فكيف تدعى الوجودية أن الفرد

---

(١) خصائص التصور الإسلامى /٨٦ ، وروح الدين الإسلامى ١٦٣ – ١٦٥ .

يقرر بنفسه الصواب والخطأ ، بل كيف يعرف السبيل إلى معرفة ذلك بإنكاره وجود الله ورسله وكتبه وكل الغيبيات (١).

ثم اعتقادهم أن الإنسان أقدم شئ فى الوجود وما قبله كان عدماً وأن وجوده سابق لماهيته ، يبطله معرفتنا أن الإنسان مخلوق ، والمخلوق لا يمكن أن يوجد نفسه بنفسه ، بل لا يكون ما قبله عدماً وإلا فكيف أوجد نفسه من عدم ، فلا بد من خالق يخلق ولا يخلق ، خالق أزلى قديم لا يسبقه عدم ولم يُخلق بل خلق الإنسان وأوجده .

فمن المعلوم أن المسلم يعتقد أن الله قد أقام هذه الحياة على أسباب ومسببات فلا بد أن ترتبط الأسباب بالمسببات ، والمقدمات بالنتائج ، فلا يتصور العقل أن يوجد معلول دون علة أو سبب دون مسبب دون أن يسبق سبب ولا نتيجة من غير أن تكون لها مقدمات .

ولا يمكن أن يكون الإنسان أقدم شئ وأن ما قبله كان عدماً ، إذ لو كان الأمر كذلك ، فكيف إذا أوجد نفسه من العدم !! ، بل كيف توجد الأشياء من نفسها منقطعة عن أسبابها ؟!! .

لأن وجود الأشياء من نفسها مع انقطاعها عن أسبابها ترجيح لجانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح ، وترجيح جانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح محال(٢).

إننا إذا قلنا إن الإنسان قد أوجد نفسه منقطعاً عن سببه ، كان ذلك مساوياً لقولنا بأن العدم سبب الوجود ، وهذا غاية فى البطلان ، لأن العدم لا يتصور أن يكون مصدر للوجود ، ففاقد الشئ لا يعطيه ، فهل أوجد الإنسان نفسه من غير خالق ، أم خلق هو نفسه ، فلا يحتاج إلى أحد يخلقه ، وكل هذا مستحيل ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾ الطور الآيتان ٣٥-٣٦.

إن الإسلام لا شك قد رسم للمسلمين منهاج حياتهم أفلحوا إذا أخذوا به وساروا عليه ، وتعثروا إذا اختاروا غيره أو رضوا بما هو دونه .

(١) راجع الموسوعة العربية الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ٥٤٣ .
(٢) العقائد الإسلامية / السيد سابق / ٣٥ – ٣٦ .

ثم نرى الوجودية تطلق للإنسان الحرية المطلقة التامة فى فعل ما يريده ، فلا تؤمن بوجود قيم ثابتة توجه سلوكه وتضبطه ، إنما يفعل كل إنسان ما يريده ، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين ، فماذا كانت النتيجة يا ترى ؟!

بالتأكيد : شيوع الفوضى الخلقية وانهيار قيم المجتمع ومبادئه والتحلل والفساد ، فلا يوجد باعث من ضوابط ولا من رادع ، وكل يسير بحسب هواه ، وما تشتهيه من رذائل وقبائح تأنف النفس أن ترزح تحتها .

إن هذه الحرية السالبية التى أطلقت العنان للشهوات والرغبات أن تسرح وتمرح وتعبث فى المجتمعات الفساد هى التى قادها إلى بر الهلاك ، والانحطاط والتخلف الأخلاقى ، وهذا من شأنه أن تطغى المادية على الإنسان فيلبى نداء شهواته وغرائزه دون حدود ولا قيود . ولكن ما هو كنه هذا الإنسان الذى يتصل – من جهة – بالحقيقة الإلهية إيماناً وعباده اتباعا لشرعه ، ومن جهة أخرى بالكون تأملاً وتسخيراً وانتفاعاً ؟.

إنه قطعاً ليس ذلك المخلوق الذى يتكون من مادة تذهب هباءً بوفاته ، كما أنه ليس الكائن الروحى الذى لا يخالطه مادة فلا يعرف إلى الانقطاع إلا العبادة والتبتل إلى الله ، كلا إن الإنسان فى تصور الإسلام كائن يتألف من الجسم والعقل والروح ، وقد شاء الله إن يوضع فى الظروف التى تحقق له الاستجابة لمطالب هذه العناصر جميعا لأن كلا منهما يؤدى وظيفته فى وجود هذا الكائن وبالتالى فى إعمار المجتمع وبنائه فلا يطغى جانب على آخر ، ولا يلغى واحداً منهم ، بل كل له مهمته لتستمر حياة الإنسان كما أردها الله له ، ضمن المنهاج الذى رسمه لحياته حتى ينال سعادته الشخصية ، وإن عمل كل فرد بهذا المنهاج ، فلا شك أن المجتمع كله ستسوده الإيجابية والتى من شأنها أن تدفع بالإنسان للقيام بكل ما هو نافع ومفيد بينته له عقيدته وشريعته ضمن ضوابط وقوانين تتناسب وطاقته وما كلفه الله به ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا** ﴾ البقرة آية ٢٨٦ والله أعلم بخلقه ، فهو خالقهم ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ سورة الملك آية ١٤ .

ولعل هذا التأليف من مجموع هذه العناصر يتضح لنا من قوله تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ**

فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ سورة الحجر ٢٨ - ٢٩ ، فالإنسان يشارك الكائنات الحية الأخرى فى النوازع الفطرية والشهوات وإحساسات الجوع والعطش ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ سورة الأنعام ٣٨ ووجود هذا العنصر يهيئ للإنسان المحافظة على ذاته ونوعه ، ولكنه يتميز عن الحيونات وسائر الكائنات الحية بالفعل الذى يعاون الإنسان فى الحصول على أقرب الطرق لتحقيق الاستجابة لنوازعه الفطرية كما يعاونونه فى الرقى الحياتى ، والوصول إلى حقائق الكون الكبرى ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل ٧٨ والإيمان بالله هو عماد هذه الحياة الروحية ، ومنبع كل طمأنينة نفسية ، ومصدر كل سعادة ، ولا يتأتى هذا الإيمان من الاعتقادات بأن إلهاً يسيطر على هذا الكون والعالم فقط ولكن بمعرفة قدسية الله وعظمته فى نفس الإنسان ، وظهور آثار هذا الإيمان بالأعمال التى تصدر عنه . والإيمان بالله لا يبئس وحده بالمجتمع ، فيسعى بذلك لخير نفسه ، ونفع الأمة والناس جميعاً ضمن قوانين الحق العامة وسنن الخير الشاملة (١).

فكل ما فى الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه بالله ، هذه حقيقة ثابتة مستمد تأييدها من التجربة الإنسانية العامة ، ففى كل دولة وفى كل عصر أناس تفجرت مشاعرهم النبيلة من إيمانهم بالله ، فأوقفوا حياتهم لصالح الإنسانية وسعادتها ، ولم ينفردوا فى بوتقة الأنانية وعللها ، بل انطلقوا فى رحاب العطاء أملاً فى الثواب الجزيل من الله سبحانه وتعالى .

هذه هى حقيقة الإيمان التى دعا إليها القرآن ، فلذلك لا نرى آية فى القرآن الكريم ذكر الله فيها (الَّذِينَ آمَنُوا) إلا أضاف إليهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إشارة منه سبحانه وتعالى إلى أن الإيمان يجب أن يكون مقروناً بالعمل الصالح ، فهو مظهره وثمرته . والإيمان بالله والعمل الصالح يترتب عليهما مرضاة الله ومكافآته فى الدار الآخرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف/٣٠ .

(١) انظر : خصائص التصور الإسلامى ٨٧ / روح الدين الإسلامى ١٦٢ ، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٤١ .

والإيمان بالله ينير لنا الظلمات – ظلمات الحياة – ففى ساعة اليأس يتذكر الإنسان أن هناك ملاذاً يلجأ إليه ، وأن ربه قادر على معونته ، فليس هناك ما يدعوه إلى اليأس والجزع ، فتطمئن نفسه ، وتصغر أمامها الأهوال وتهون المصائب . كما أن الإيمان المصحوب بالعمل الصالح وسيلة إلى النعيم الدنيوى يخص الله المتصف بهما ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل آية ٩٧ .

فالإنسان فى هذه الحياة وسط تيار جارف من الآلام والمصاعب ، فمن لم يؤمن بالله ويتخذه ملجأ ومعزياً فى المصائب وساعداً فى المتاعب كان أشقى الناس فى حياته ، بخلاف المؤمن الذى يحيا حياة طيبة بالإيمان كما صرح بذلك القرآن . وبعد هذه معتقدات ومبادئ الوجودية حول الله والإنسان والحرية والأخلاق والقلق .

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على الفلسفة الوجودية

تبين من هذا السياق أن الركائز الفكرية الأساسية التى ارتكزت عليها معالم الفلسفة الوجودية تتمثل فى الركائز التالية :

١- **الركيزة الأولى** : هدم العقيدة الدينية بما تشتمل عليه من الإيمان بوجود الله وإرسال الرسل والبعث .

٢- **الركيزة الثانية** : هدم الأخلاق الدينية والقيم الإنسانية الحميدة .

٣- **الركيزة الثالثة** : إباحة الحريات الفردية المطلقة بدون ضوابط من دين أو مجتمع أو عرف .

هذه هى المنطلقات الفلسفية التى ظهرت بها الوجودية كتيار فكرى ، وقد نتجاوز حين نسميها فكراً أو فلسفة لأن الأفكار التى لا تقوم على أسس علمية ومنطق عقلى يشهد الواقع بصدقها لا تسمى فكراً أو فلسفة ، فلا ريب إن أى فكر بلا أساس ، وبلا هدف وغاية ، لا يسمى فكراً ، بل من الأنسب أن يكون من قبيل الأوهام ، لأن الفكر السليم يبنى على قواعد سليمة يشهد الواقع بصدقها ، " والوجودية فكر سقيم

باعتبار مدلوله ، وسقيم باعتبار أساسه وهدفه وغايته " ، وعلة ذلك أن المنطلقات الأساسية التى تعتمد عليها الوجودية جملة من الاتجاهات المتباينة والمتناقضة وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم .

ذلك أن الوجودية تقوم على دعوة خادعة وهى أن يجد الإنسان نفسه فى التحلل من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد ، فهى فى الواقع آخر تيار فكرى أوجدته المادية الحديثة ، وهى دعوة إلى عزل الإنسان عن عالمه الروحى ، وجعله جسداً حيوانياً لا يجد فى كيانه شيئاً من العواطف والمشاعر الإنسانية ، وهى تفسد طبيعته وتحوله إلى حيوان بلا عقل ولا قلب ولا روح .

وذلك لأن الوجودية وليدة من ولائد الليبرالية وهى دعوة خبيثة انتشرت فى أوروبا وأمريكا نتيجة لموجة الإلحاد والانسلاخ من النصرانية التى انتابت هذه البلاد .

ويحاول أعداء الإسلام تصديرها إلى بلاد المسلمين بواسطة شباب المسلمين الذين يذهبون إلى تلك البلاد طلباً للعلم ، واهمين إياهم بأنها دعوة إلى التحرر ، وهى فى الحقيقة دعوة إلى التحرر من الدين ومن العقل ومن الإنسانية ليصيروا كالأنعام بل هم أضل فلا يخشى خطرهم .

مع ملاحظة أن " جان بول سارتر " هو أول من دعا إلى هذه المدرسة الوجودية التى جنح بها إلى الإباحية التى تصيب الفرد والمجتمع بالسقوط والانحلال فالوجودية خطر على العالم الإسلامى تصيبه بالأفكار الهدامة (١).

ذلك إن هذا المذهب الذى أنشأه طائفة من الشكاك والمرتبينجريا وراء نشأتهم الفاسدة وامتداداً لمذاهب الإلحاد التى كانت كرد فعل للفساد الدينى فى مجتمعاتهم لمذهب فاسد يقوم على أسس منهارة لأن هدف أصحابه هو دفع الشباب والمجتمع إلى حياة اليأس والقلق والفوضى والهمجية بلا حدود فاصلة بين الخير والشر والعدل والظلم ، ولا فاصل بين الجبن والشجاعة والخنوع ، ولا فرق فى قوانينه بين العفة والفضيلة ولا حكمة فيه ولا عقل ولا فكر سليم ، كل يحقق ذاته كما يريد ، ولذلك فهؤلاء متناقضون مع أنفسهم فقول أحدهم ينقضه الآخر .

(١) الكتب والناس / العقاد ٢٦ ط بيروت .

ويكمن خطر الوجودية فى أنها تعد أوسع المذاهب انتشاراً فى العالم ، ولا يكاد يخرج كتاب فى الفلسفة اليوم إلا ويتخذ منها موقفا إما لها وإما عليها ، وحتى حين تتعامل معها كفلسفة تطرح عليك سؤالاً : مؤمن أنت أم غير مؤمن ؟ فلها فى هذه المسألة رأيان :

الأول : (ذو نزعة دينية ويمثله " كير كجور ، وجيريل مارسيل ، ومارولنتى)

الثانى : ينعزل عن كل شعور دينى ويمثله " هيدجر وسارتر " والوجودية كمذهب تقوم على مبدأ أساسى هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله ، بمعنى إن أفعال الإنسان هى التى تحدد وجوده ولهذا فإن الفكر فى الوجودية معلق على الوجود " فسارتر " يقول أنا موجود ، فأنا أفكر ، وهو عكس ما جاء به أبو الفلسفة الحديثة " ديكارت " حين قال أنا أفكر فأنا موجود فعلق الوجود على الفكر (١).

أما عن أثر هذا المذهب فى العالم الإسلامى على وجه الخصوص ، وفى سائر بلاد العالم الثالث كما يدعى – على وجه العموم والإنسانية عامة ، فلا شك أن الوجودية تعد من أهم المذاهب الخطيرة جدا على الإنسانية عامة ، وعلى الإسلام والمسلمين بصفة خاصة ، وذلك بإشاعة ما جاءت به من أفكارها الهدامة ، ومعتقداتها الفاسدة ، ومبادئها الضارة المنحرفة المناقضة للفطرة الإنسانية ، وآرائها المليئة بالمتناقضات ، وخاصة فى عالمنا المعاصر ، فقد أدت إشاعة أفكارهم إلى شيوع الفوضى الخلقية ، والإباحية الجنسية ، والتحلل والفساد ، فقد أحدث المدرسة الإباحية فى فرنسا لأسباب تتعلق بفرنسا وبعضها يتعلق بإمام تلك المدرسة " جان بول سارتر " فرغم كل ما أعطوه للإنسان فإن أفكارهم تتسم بالإنطوائية الاجتماعية ، والانهزامية فى مواجهة المشكلات المتنوعة ، فالوجوديون يتفقون تقريبا على تقديس حق الفرد وحمايته من طغيان الجماعة عليه ، فضلا عما تركته الوجودية على الوجود الشخصى الفردى للإنسان وحصره داخل نطاق الذاتية مما يترتب عليه عدم الاهتمام بالمجموع وإنكار حقيقة الإنسانية العامة وهى بهذا قد شوهت الوجود الإنسانى .

(١) جريدة الأهرام المصرية ١٩٨٢/١٠/١ نقلا عن حولية كلية أصول الدين العدد ٩ .

ومن هنا يظهر لنا بوضوح تام إن الوجودية أخطر دعوة ظهرت فى العصر الحديث لأنها تعمل على إفساد الحياة والإنسان كليهما ... وتسعى إلى تحويل البشر إلى قطعان من الحيوانات لا عقل لها ولا قلب ولا روح ، ولا ضابط ولا قانون ، باسم الحرية المهلكة التى تتبناها ، وهذه الدعوة الخبيثة التى ولدت فى أحضان الصهيونية وهى التى غذتها ودفعتها إلى العالم لتأكل بنارها كل معانى الإنسانية فى الإنسان وتحيله إلى هشيم تذروه الرياح ، ولقد كان " جان بول سارتر " أباً لهذا المذهب المشئوم وهو يهودى أو نصف يهودى على الأقل كما يقول الأستاذ /العقاد " ثم اليهود دعاتها والمبشرين بها من بعده ، ولقد عارض الوجودية مفكرون كثيرون غربيون [١].

ذلك أن الوجودية مذهب متهافت يقوم على أسس منهارة لأن هدف أصحابه هو دفع الشباب والمجتمع إلى حياة الفوضى والهمجية بلا حدود .

ومن هنا فقد عارضها وكشف عن زيفها **الدكتور / رجاء جارودى فقال :** "الوجودية فلسفة الاستعمار فلسفة هدم لا بناء ، فلسفة تدمير للشخصية الإنسانية فلسفة إسقاط النفس الإنسانية فى مجال اللذة والشهوات بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها أو تركيز وجودها فلسفة مادية تستهدف الاستمتاع السريع خشية الموت "[٢].

كما عرضها وبين ما فيها من فساد وضلال ، وما تنطوى عليه من تناقض وانحلال ، كثير من المفكرين ، والباحثين ، وعلماء النفس ، والاجتماع ، والأخلاق ، وغيرهم كثير .

فالوجودية فى نظر علم الاجتماع : مذهب فلسفى منحل يقوم على تفكيك الوعى العام . ولا خلاف أصلاً ، عند أحد من علماء الاجتماع على ضرورة الحياة الاجتماعية عند الإنسان ، أو إلى أن الإنسان اجتماعى أو مدنى بطبعه كما يقال ، لأن " الضرورة " – الاقتصادية والدفاعية – تمثل واحداً – فقط – من العوامل التى تعود إليها نشأ الحياة الاجتماعية عند الإنسان ، يضاف إليها الشعور الفطرى الذى زُودت به الإنسانية – والذى يأبى أن يضع الإنسان فى مرتبة أقل من مرتبة غريزة التجمع التى عرفها النحل وبعض الحيوانات الأخرى ! – إلى جانب عنصر " الإرادة "

(١) الإسلام والدعوات الهدامة أ/ أنور الجندى ١٨٥ دار الكتاب اللبنانى .

(٢) انظر الإسلام والدعوات الهدامة أ / أنور الجندى / ٢٠١ ط دار الكتاب اللبنانى .

الإنسانية ... أو إرادة التجمع عند الإنسان . على النحو الذى عرض له بالتفصيل العلامة ابن خلدون رحمه الله .... فإذا كانت الحياة الاجتماعية أصيلة فى كيان "الإنسان " أى فى كيان " النوع " تبين لنا بذلك إلى أى مدى تحاول الوجودية معه إلغاء " وجود " الإنسان والوصول به إلى العدمية تحت عنوان الوجودية !!

ولا مانع أن نشير هنا أيضا إلى أن الزعم القائل بأن الوجود مقدم على الماهية، أو العقيدة المثلى للإنسان تلك التى لا تقبل التعدد والتكرار – هروباً من النوع كما قدمنا – كل هذه الآراء والمزاعم التى " يتفلسف " فيها الوجودى ... يقولها وهو مطمئن آمن فى " مجتمع " يحتوى على خصائص النوع ... وخصائص تاريخ الإنسانية ... وعلى محصول " إنسانى " ضخم من التجارب والعادات والسنن والقوانين والآداب !! ومعنى ذلك أن الوجودية التى ستدمر كل هذا – وتدمر نفسها معه كذلك – لم يكن لها أن تنشأ أصلا ويا للمفارقات العجيبة ! – إلا فى ظله هو ! ... ولهذا فإننا لا نرى فى هذا المذهب أو فى هذه الأخلاط إلا دعوة للهدم بأعمق معانى الهدم ، وأسوئها أثراً فى حياة الفرد والنوع على حد سواء " [١].

أما فى نظر علماء الأخلاق فالوجودية فلسفة اجتماعية رجعية تقوم على أساس إنكار الوجود الإلهى ، مصدر الأخلاق النظرية عند الإنسان ، فهى تبدأ برفض الخضوع أو التبعية للدين ملتزمة أن تتخذ لها موقفا من مشكلة إرادة الإنسان وحريته فهى التى تقول " إذا كان الله غير موجود فكل شئ مباح " ! وهذه النقطة هى نقطة البدء فى فهم الوجودية كما قال سارتر نفسه .

ولكن أعجب ما نراه من أمر هذا المذهب – بمعناه الأساسى الذى يجمع الوجوديين وكما اشرنا إليه – أنه لا ينتهى إلا إلى الضد أو النقيض مما جاء للتبشير به والدعوة إليه . فدعوى " الوجودية " لا تنتهى بالإنسان إلا إلى دعوى " العدمية " من كل وجه . ولعل أدعياء الفكر – القديم المعاصر – لم تشهد مذهباً أو هى أساساً ولا أسرع زوالا من هذا المذهب ! وحسبك من ذلك انه ينتقل بصاحبه من " الوجود " إلى العدم !! فإلى متى " يدوم " هذا المذهب ؟! ولقد صدق " جاك بيرك " حين وصف

(١) انظر ملامح المذهب الوجودى أ.د / عدنان محمد زرزور ١٦ ، ٢٧ .

الوجودية بأنها ظاهرة " زمنية " عابرة لن تلبث الإنسانية أن تتخطاها ، وأنها ليست روحاً !.

ولهذا فنحن مع الباحثين فى مجال الفلسفة الغربية الذين يؤكدون على أن الوجودية " فلسفة عدمية من ألفها إلى يائها " لا لأنها دعوة إلى قتل التفكير ، وشل القدرة على استخدام العقل ... ليس لذا فحسب ، بل لأن مقدماتها الأولى – المتفق عليها على وجه التقريب – أو مسوِّغها الفلسفى الذى يستند إليه الوجوديون أسخف الإسناد الفلسفية التى ظهرت فى عالم الفكرة والعقيدة ... ولأنه هو الذى يدلنا على هذا " العدمية " التى سوف تنتهى إليها هذه " الوجودية " !!

فالقول بأن الفرد هو الموجود الحقيقى ، وأن " النوع " وهم ليس له وجود !! ضرب من الجهل السافر بعلوم الحياة – البيولوجيا – والنفس قبل أن يكون جهلا بحقائق الأخلاق والاجتماع ، فإن مما لا مراء فيه أن " النوع " موجود فى تركيب كل إنسان وإنسانية ، وأنه ما من خلية فى بنية الفرد لم يتمثل فيها " النوع " تمثلاً أوفى وأعمق من تمثيل الفرد ذاته بجميع خصائصه ومقوماته . ولقد ثبت إن قوام البنية مرتبط بالغدد الصماء وغير الصماء ، وأن علاقة هذه الغدد بالخصائص " النوعية " وثيقة جداً فى عملها المنفصل وأعملها التى تتعاون عليها .

وإذا كان تمثيل النوع " حيوياً " – أو بيولوجيا – حقيقة لا ريب فيها فالتمثيل النفسانى – أو السيكولوجى – حقيقة تضارعها ثبوتاً ويقيناً إن لم تكن أبرز منها للوعى والشعور !! وعلى هذا فإنه لا يمكننا أن " نتخيل " فرداً مجرداً من الخصائص النوعية فى كل خصلة من خصاله ، وكل خلجة من خلجات وعيه وشعوره .

ومن قال إنه ينطلق على هواء ويمضى على رأسه غير مبال بمصير " النوع " إلى الفناء فعليه قبل كل شئ إن يخرج من دعوى " الوجودية " إلى دعوى "العدمية"... لأن فلسفته تقوده إلى فناء الفرد وفناء الإنسانية حين يزعم أنه لا يبالى بحاضره ولا يبالى بمصيره ، ولا مصير الإنسانية جمعاء !

إن الوجودية التى تؤمن بوجود الفرد لينسى " واجبه " ولا يذكر غير " هواه " ليست فى الحق إلا " عدمية " باسمها وفعلها ، وهى من المفارقات والأغاليط بالنسبة إلى الآحاد وإلى الأنواع والجماعات ؟.

يقول الفيلسوف كارل يابرز " إننا فى العصر الحاضر نحتاج إلى فلسفة العقل والإيمان ، لا الفلسفة الوجودية أو الوضعية " لأن الوجود العيانى الشخصى الذى يعتد به الوجوديون والوضعيون فوقه وجود آخر هو الله تعالى ، أما الوجودى فقد غرته نفسه وظن أنه الكائن الوحيد فى الوجود ونسى خالقه عز وجل الذى خلقه فسواه فعدله.

ثم يقول : إن الطريق الذى يسير فيه " الوجودى أو الوضعى أو الماركسى " طريق موغل فى الظلام إذ أعضوا عن العقل وكفروا بالله فضلوا ضلالا بعيدا فنضبت آمالهم واستبدت بهم الهواجس والهموم وقال إن المخرج من المازق يكون فى الثقة بالعقل والإيمان بالغيب " .

ويشفق " جارودى " من تأثير هذه الفلسفات على الشباب فيقول فى حيرة كيف أصف هؤلاء المفكرين أنهم سفاحوا الثقافة والفكر [1].

نعود مرة أخرى فنقول : إن الطريقة التى يقرر بها الفرد وجوده ويتحرر بها من الوهم والخيال – كما قالوا – تعتبر مبدأ الخلاف بين الوجوديين أنفسهم ، هذا من حيث المبدأ ولكن نظرة فاحصة للآثار الوجودية أو بتعبير أدق لكتابات الوجوديين أو حياتهم وسلوكهم كذلك – تدلنا بوضوح على أن وجود الفرد عندهم يتقرر ويتحقق بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء ولا يبالى العرف أو الدين بل يمكن ملاحظة أمر آخر يعتبر على جانب كبير من الأهمية ... وهو أن الوجوديين الذين يذهبون إلى أن تحقيق هذا الوجود لا يكون من هذا الطريق ، بل بشئ من العقائد الصحيحة والسلوك الجاد ، يذهب معظمهم إلى ضرورة الاعتقاد بأمر لا يقبل التكرار!!

لأن الاشتراك فى العقيدة تكرار وتقليد ، وأنه تزييف وتلفيق و " الوجود " الصحيح إنما يكون بالعقيدة التى لا تقبل التكرار !! وهذا أيضا – كما قدمنا – أحد أسباب إشارتنا السابقة إلى إن فى العالم من المذاهب الوجودية بقدر ما فيها من "الوجوديين " !!... وهذا أيضا أحد أسباب خروجهم عن أعراف المجتمعات وسنن الأديان ، وقواعد الأخلاق السائدة ، والقيم الثابتة المستقرة التى درج الناس عليها ألوف

(١) نقلا عن : د/ مصطفى حلمى ص٢٦ ، الإسلام والمذاهب الفلسفية .

السنين ، والتى يمكن القول أنها تعود فى الأصل إلى الوحى الإلهى ورسالات الأنبياء..

وهذا أيضاً أحد الأسباب التى غلب من أجلها على هذا المذهب أو هذه المذاهب فلسفة الهدم والفوضى ، وأدب الانحلال والضياع !... أو بعبارة أخرى : فلسفة الغُربة والانقطاع .... والآراء الفجة الناقصة التى تعكس تجربة أو حياة أو " وجود " فرد عابر فى تاريخ الزمان والمكان ، إذا ما قيست حياته أو " وجوده " بوجود الإنسانية الطويل وتاريخها المديد ، وحياتها الحافلة وتجاربها الغنية ، وما وجهها خلالها الأنبياء والمصلحون ..... وما هذّبته من طباعها وعوائدها الآداب والفنون والمعارف .... وصنوف العلم والتجارب التى لا تحصى !

أما الأسباب التى تتعلق بـ " سارتر فهى اتصال نسبة بالصهيونية إذ هو نصف يهودى أو أكثر فى نسبه لأن أمه يهودية . ومن هنا نرى إن اليهودية العالمية " الصهيونية " وراء كل دعوة تهدم الأخلاق وتستخف بالقيم والمبادئ . فاليهودى " ماركس " وراء الشيوعية الماركسية التى تهدم الأديان والأخلاق واليهودى " دور كاميم" وراء علم الاجتماع الذى يحاول أن يبطل آثار الأسرة فى تطور الفضائل والآداب . ونصف اليهودى " سارتر " وراء الوجودية التى جنح بها إلى إباحية حيوانية تصيب الفرد والمجتمع بالقنوط الانحلال . فالوجودية إذاً مركز خطر على العالم الإسلامى تغزوه بالأفكار الهدامة (١).

الآثار التى خلفتها الوجودية فى المجتمع (٢)

أما الآثار التى خلفتها الوجودية فى المجتمع ، فقد " أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد ورغم كل ما أعطوه للإنسان فإن فكرهم يتسم بالإنطوائية فى مواجهة المشكلات المتنوعة ، فالوجوديون يرون أن ا المازق موجود فى قلب الحالة البشرية ، فهم يرون إن الحياة مجموعة قرارات وعلى الفرد أن يقرر باستمرار ما هو صحيح وما هو حقيقى وما هو خاطئ ، وأى معتقدات

(١) بين الكتب والناس / عباس العقاد / ٢٦ ط بيروت ١٩٦٦ .

(٢) بتصرف من الموسوعة العربية العالمية / ٥٢ . وكذلك الموصوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة / ٥٤٤ . وكذلك موسوعة الحضارة العربية الإسلامية س١٦ – ٢٣ .

تقبل وأيها ترفض ، وماذا لا نفعل ، ولكن لا توجد معايير موضوعية يمكن أن يلجأ إليها الشخص للإجابة عن مشكلات الاختيار ، لأن المعايير المختلفة تقدم نصائح متضاربة وعلى الفرد أن يقرر أى المعايير التى يقبل وأى المعايير التى يرفض .

ويستنتج الوجوديون إذن أن الاختيار البشرى عملية ذاتية لأن الأفراد فى النهاية يجب أن يمارسوا اختياراتهم بدون تأثير من المعايير الخارجية كالقوانين . ويؤكد الوجوديون إن الحرية تقترن بالمسئولية ولكون الأفراد مجبرين على الاختيار لأنفسهم – عند أصحاب هذا الاتجاه فهم بالضرورة أحرار .

وتعد المسئولية من وجهة النظر الوجودية الجانب المظلم من الحرية ، فعندما يدرك الأفراد أنهم مسئولون كلية عن قراراتهم وأعمالهم ومعتقداتهم ، يتملكهم القلق ، ويحاولون الهرب بتجاهل أو إنكار حريتهم ومسئوليتهم أى إنكار موقفهم الحقيقى وبهذا ينجحون فقط فى خداع أنفسهم . والوجودى الحق فى هذا المعتقد هو الذى لا يقبل توجيها من الخارج إنما يُسيِر نفسه ويلبى نداء شهوته وغرائزه دون قيود ولا حدود . وهى فى مفهومها أيضا تمرد على الواقع التاريخى وحرب على التراث الضخم الذى خلفته الإنسانية .

كما تمثل الوجودية اليوم واجهة من واجهات الصهيونية الكثيرة التى تعمل على هدم القيم والعقائد والأديان ومما تبتلعه نظرية الوجودية الإلهيات والسمعيات ، فحتى فى المدرسة المؤمنة من الوجودية تعتقد أن الدين محله الضمير ، أو الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة .

والوجودية بذلك ولا شك نتاج عناد ، وليد آمال أخفقت ، وليد اشتهاء لم تجر الرياح كما تريد سفنه ، وهو انعكاس الكنيسة وتحكمها فى الإنسان بشكل متعسف باسم الدين وهذا نراه بشكل جلى ملحوظ ولا زال ، ولكن فى السابق كان الضغط أشد تعسفا سواء ماديا أو معنوياً ، فكان ماديا دين الأرستقراطيين ، وصكوك الغفران التى تغفر الذنوب والخطايا لمن يدفع الثمن الأعلى !! . ومعنوياً وليد القيود المتزمتة من تحريم تعدد الزوجات واضطهاد حقوق الأفراد والرهبنة ..... الخ . وهو انعكاس لحالة اجتماعية متدهورة اقتصاديا أو سياسيا لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى

والثانية ، فكانت النتيجة انهيار أعصاب وتهافت أخلاق وتخريب إيمان ويأس مركوز لا دهش[١] .

وأخيراً يمكن حصر أخطار الوجودية بالإضافة إلى ما سبق فى عدة نقاط أساسية :

١) أنها تدعوا إلى اليأس المطلق والتشاؤم الكلى وتدعوا إلى هدم الحياة .

٢) أنها دعوة إلى التمرد على الواقع والقيم جميعا ترفض كل ما يتصل بالغيبيات والنفس الإنسانية وتقف عند الإيمان باللحم والدم .

٣) أنها تنكر محصول البشرية من القيم والتجارب وتدعوا إلى أن يبدأ الإنسان من جديد .

٤) أنها تحتقر الدين والعلم والأخلاق .

٥) ليس فيها نقطة واحدة تفتح الطريق أمام التقدم أو بناء الحياة أو العمل من أجل مجتمع أفضل .

٦) هى فلسفة موغلة فى الفردية تنكر الحقيقة الموضوعية للواقع الإنسانى .

٧) الأخلاق الوجودية هى أخلاق المرض ... القلق ، القنوط ، التشاؤم ، الغموض، الأنانية المفروضة .

٨) تعمل على تقويض المجتمعات وهدم الأمل والخلق والغيرة ومعارضة الشجاعة والتضحية [٢].

تلك هى الوجودية التى يقول عنها الفيلسوف " جان كانابا " فى كتابه الوجودية ليست فلسفة إنسانية . " إن الوجودية رائعة إذا شوهدت عن بعد غير أنها تبدو على حقيقتها حين تقترب منها فتكشف أنها بناء من ورقة " .

وكيف لا يكون مظهرها براقا رائعا وهى تدعوا الشباب الباحث عن اللذة إلى الانغماس فيها واللعب من كؤوسها وطرح كل ما يدعوا إلى العفة أو الخلق أو الدين[٣].

وفى الختام أرجو من الله تعالى أن يكون وفقنى فى إبراز هذا البحث المتواضع فى صورة حسنة .

---

(١) الوجودية مذهب إنسانى (بتصرف) / ١٨ .

(٢) الإسلام والدعوات الهدامة / ٢٠١ .

(٣) المذاهب الإسلامية المعاصرة / د . عبدالرحمن عميرة ٢٢٠ .

المراجع

المصدر الأول : القرآن الكريم :

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة : د/ على جريشة – ط دار الوفاء المنصورة ١٩٩٠ .

٢- الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث : د/ عبدالقادر محمود – ط الهيئة العامة للكتاب .

٣- أفيون الشعوب : أ. عباس العقاد – دار الأنصار ١٩٧٥ م .

٤- انظر الوجودية المؤمنة والملحدة د / محمد غلاب . اقرأ هدد ١٦١ دار المعارف .

٥- الإسلام والتيارات المعاصرة أ.د / عبدالمعطى بيومى .

٦- فلسفة جان بول سارتر – حبيب الشارونى – ط الإسكندرية .

٧- الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى / د. محمد إبراهيم بيومى .

٨- المدخل إلى التفسير الموضوعى / د. عبدالستار فتح الله سعيد ط دار الطباعة الإسلامية ١٤٠٦ .

٩- مفاتيح الغيب للإمام الرازى دار إحياء التراث العربى – بيروت .

١٠- الكتب والناس / عباس العقاد / ٢٦ ط بيروت ١٩٦٦ .

١١- بين الفلاسفة والآداب كرانستون موريس سارتر ترجمة د/ فراد كامل ط دار الثقافة القاهرة .

١٢- الوجودية مذهب إنسانى – سارتر ترجمة عبدالمنعم الحنفى ط ١٩٧٧ م .

١٣- المخاطر التى تواجه الشباب المسلم وكيف يتوقاها د/ مصطفى حلمى – ط دار الأنصار ١٩٧٧ .

١٤- انظر الإسلام والدعوات الهدامة أ / أنور الجندى / ٢٠١ ط دار الكتاب اللبنانى .

١٥- ملامح المذهب الوجوديون أ.د / عدنان محمد زرزور .

١٦- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين د/ صالح بن إبراهيم البليهى .
١٧- الموجز فى الأديان والمذاهب : د/ ناصر عبدالله الغفارى وآخرون .
١٨- انظر نشأة المذهب الوجودى أ.د عدنان زرزور .
١٩- مذكرات فى المنهج الاستدلالى فى القرآن الكريم أ.د / مزروعة .
٢٠- دراسات فى العقيدة الإسلامية د/ فؤاد العقلى . ١٩٨٢ م .
٢١- التربية فى الإسلام د. أحمد فؤاد الأهوانى ط الثانية .
٢٢- الوجود والعدم / جان بول سارتر .
٢٣- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية .
٢٤- الموسوعة العربية الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة .